

سِلْسِلَةُ الشَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

جَائِزَةُ لَدُنَى الدَّوْلَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَحَدَّةُ الْبُحُوثِ وَالدرَاسَاتِ



حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

الصَّيْلُ

رَحَلَةُ الْعَابِدِينَ وَرَأْسُ الْمَحْبِبِينَ
خَوَاطِرُ حَوْلِهِ وَقِصَصٌ مِنْ أَحْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَنْهُ



بقلم

د. عَبْدُ السَّمِيعِ مُحَمَّدَ الْآنَيْسِ

أَسْتَاذُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَعُلُومِهِ الْمَشَارِكِ
كَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - جَامِعَةُ الشَّارِقَةِ

الصَّيْدُ

رَحَلَةُ الْعَابِدِينَ وَرَاحَةُ الْمُجِبِينَ
خَوَاطِرُ حَوْلِهِ وَقِصَصٌ مِنْ أَسْوَاقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَنْهُ

الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين
تأليف : الدكتور عبدالسميع محمد الأنيس
الطبعة الأولى : ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م
جميع الحقوق محفوظة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات
رقم (١٢١٤٣٥) تاريخ (٢٦/٠٤/٢٠١٦)

ما ورد في هذا الكتاب يعبر عن رأي صاحبه ولا يعبر بالضرورة عن رأي الجائزة

ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة
هاتف: +٩٧١ ٤ ٢٦١٠٦٦٦
فاكس: +٩٧١ ٤ ٢٦١٠٠٨٨
الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae
البريد الإلكتروني : Research@quran.gov.ae

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

الصَّيْلُ

رَحَلَةُ الْعَابِدِينَ وَرَاحَتُ الْمُحِبِّينَ
خَوَاطِرُ حَوَالِهِ وَقِصَصٌ مِنْ أَحْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَنْهُ

بقلم

د. عَبْدِ السَّمِيعِ مُحَمَّدِ الْأَنْبَسِ

أُسْتَاذُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَعُلُومِهِ الْمَشَارِكِ
كَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - جَامِعَةُ الشَّارِقَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا
محمد، خاتم النبيين وإمام المرسلين، وخير خلق الله أجمعين،
ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين، وبعد:

فقد خلق الله الإنسان وكرّمه، وأسجد له ملائكته؛ ليعبده وحده،
قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]،
وليرتقي في مدارج الكمال ومنازل المتقين شرع الله الصيام وأوجه
عليه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] والتقوى منزلة عالية
رفيعة في الإسلام، وهي أرقى ما يصل إليه المسلم، وقد أعد الله للمتقين
أجراً عظيماً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ
أُزْبَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [النبا: ٣١-٣٤].

وعبادة الصيام أنزلها الله منزلة عالية، فقد روى أبو هريرة رضي الله

عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به». [متفق عليه]، والله يجزل الأجر ويعظم المثوبة، وما أحلى أن يؤدي المسلم هذه العبادة بدافع الحب لله، متلذذاً بها لتكون سبباً قوياً في صلته بالله تعالى، توصله إلى مقام الإخبات له سبحانه، وحسن الخضوع بين يديه، وترتقي به إلى مدارج المتقين، ومنازل المحبين.

والصيام رحلة ممتعة للعبدين، وراحة يستجم بها المحبون، يتركون الطعام والشراب والملذات شغلاً بالمحجوب عنها، وسعياً للتقرب إلى الباري سبحانه، ورجاء نيل رضوانه.

ومن منطلق رسالة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في نشر الثقافة القرآنية، وتعميمها، يشرفها أن تسهم في خدمة كتاب الله العزيز، وتقدم إلى المكتبة الإسلامية في سلسلة الثقافة الإسلامية كتاب «الصيام رحلة العابدين، وراحة المحبين»، راجين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل وغيره من إنجازات الجائزة صدقة جارية في صحيفة أعمال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، راعي الجائزة الذي أنشأ هذه الجائزة لتكون منار خير تنشر ما تجود به

القرائح في حقل الدراسات القرآنية، وتخدم القرآن الكريم بسبل شتى، فجزاه الله عن القرآن وأهله خير الجزاء.

ومن منطلق إسناد الفضل لأهله، فإن وحدة البحوث والدراسات في الجائزة تتقدم بالشكر والتقدير إلى رئيس اللجنة المنظمة للجائزة سعادة المستشار إبراهيم محمد بوملحه، مستشار صاحب السمو حاكم دبي للشؤون الثقافية والإنسانية الذي ما فتى يشجع نشر الكتب العلمية القيمة في إطار رسالة الجائزة في خدمة كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم ﷺ وسيرته العطرة.

وفي الختام نسأل الله أن يجزل الأجر والمثوبة لمؤلف هذا الكتاب، ولكل من أسهم في خدمته وتصحيحه وتدقيقه وإخراجه في هذا الثوب القشيب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

رئيس وحدة البحوث والدراسات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
والاه، وبعد:

فإنَّ العبادات التي شرعها الله سبحانه لعباده لها أثر في هندسة
الحياة، ويظهر ذلك جلياً عند تأملها. وهي مواسم جميلة تنقذ الإنسان
من شبح الملل، وتخلّصه من (رتابة) الحياة.

والصيام من أركان الإسلام، فإذا أدّاه المسلم بدافع الحب
والرضا كان سبباً قوياً في صلته بالله تعالى، وأوصله إلى مقام الإخبات
له، وحسن الخضوع بين يديه، وارتقى به إلى مدارج المتّقين، ومنازل
المحبّين.

ولهذا كان الصيام رحلة ممتعة للعابدين، وراحة يستجم بها
المحبون، تاركين الطعام والشراب والملذات شغلا بالمحبوب عنها.

إنَّ العبادات تفتح عين الإنسان وقلبه على مظاهر هذا الكون
البديع، وقد لاحظت في هدي النبي ﷺ أنه كلما كانت الآيات الكونية

١٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

أشدّ ظهوراً كان عليه الصلاة والسلام أكثر عبادةً لله تعالى؛ فالصلاة مرتبطة بحركة الشمس، وهي آية من آياته سبحانه، والصيام مرتبط بالقمر، وهو آية من آياته سبحانه، فنحن نصوم عندما يُهل هلال رمضان من كل عام، ونصوم الأيام البيض، وهي: اليوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر عربي عندما يكون القمر بدرًا.

والصوم يذكّرنا بمائدة الكون العظيمة عندما نغفل عن نعم الله تعالى التي لا تُعدُّ ولا تحصى بسبب إفنا لها، واعتيادنا عليها.

وهو نظام غذائي يتوافق مع المقررات الصحية، ويراد منه التهذيب لا التعذيب. كما أنه رحلة تدريب تعين الإنسان على تحمل مشاق الحياة ومتاعبها، ومحاكاة شعور المحرومين، وجوع الجائعين.

إنَّ هذه الخواطر والنماذج - وقد بلغ عددها المئة - محاولة للوصول إلى هذه المعاني الجميلة المستفادة من عبادة الصيام، واستجلاء المقاصد من مشروعيته.

ومن الأهمية بمكان أن نتعرّف على معنى العبادة التي نوّديها، وأن نطلّع على حكمها؛ لأنّ العبادة إذا خلت منها، أصبحت عادة، فلا يكون لها كبير تأثير في تغيير السلوك، والترقي في المنازل العالية التي

تقربنا إلى الله سبحانه. وربما أدى بعض الصائمين هذه العبادة المباركة بدافع العادة، المصحوبة بالملل، والكسل، وربما لا يخطر على باله أن الله تعالى قد شرفه بها، وكرمه بأدائها، فهي نوع من أنواع شكر المنعم على نعمة البدن، وعودة به إلى فطرة الحياة. وإذا أُديت بدافع الحب والرضا، كانت سكناً وطمأنينة، كما يسكن الإنسان السعيد في وطن جميل، وزمن جميل!

وعندها تظهر آثارها وأنوارها في سلوك المسلم، وفي مفردات حياته انضباطاً ونظاماً، ويكون لها أثر في المحافظة على صفاء المجتمع ونقاؤه، وتعدُّ من الأساليب الناجحة في القضاء على الجرائم التي تهدد أمنه واستقراره.

وهذه الرسالة تدخل فيما يطلق عليه عند الفقهاء «مقاصد الصيام»، وبيان معانيه وحكمه، وقد كتب فيه علماء أجلة، ومن هؤلاء الأئمة: الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) والنووي (ت: ٦٧٦هـ) والعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ) وابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) والشاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ) والنورسي (ت: ١٣٧٩هـ) وعبد الله سراج الدين (ت: ١٤٢٢هـ) وغيرهم.

وقد أكرمني الله تعالى بكتابة بعض الخواطر حوله، وكان ابتداء ذلك في العشر الأخير من رمضان في مكة المكرمة، عام ١٤٣٥هـ، وأكملتها في رمضان عام ١٤٣٦هـ، ثم قرأت كثيراً منها في رحاب البيت العتيق في موسم الحج من العام المذكور. والله تعالى أسأل أن ينفعني بها، وأن يتقبلها عنده بقبول حسن، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



أولاً:

خواطر حول الصيام

١- ما أجمل هلال رمضان!

في مطلع كل شهر عربي أقف لأتأمل الهلال الوليد، وأدعو بما كان يدعو به سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فقد كان إذا رأى الهلال يقول: «اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيَمَنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ» (١).

إنَّ رؤية الهلال مطلع كل شهر تبعث في النفس أملاً يتجدد بحياة أفضل، وعيش أرغد، وإيمان أتم، وسلامة للإنسان والأوطان.

ولكن هلال رمضان له نكهة خاصة، وفيه معانٍ أشمل وأكمل وأجمل؛ لأنَّ الأمل المنشود قد تحقق في حياة البشر منذ أن نزل القرآن الكريم في هذا الشهر المبارك.

فما أجملك يا هلال رمضان وقد أكرمك الله بأعظم حدث وقع في هذا الكون، وهو نزول القرآن على قلب أشرف إنسان محمد عليه الصلاة والسلام!

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال (٣٤٥١) وقال:

«هذا حديث حسن غريب» والحاكم (٢٨٥/٤).

٢ - المؤمن يراقب حركة القمر حبا في الصيام!

المؤمن يراقب حركة القمر حبا في الصيام والحج، ويراقب حركة الشمس حبا في الصلاة، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: «إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ، وَالْأَظْلَةَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).
إن هذه العبادة تنعش القلوب، وتحيي الأرواح، وتجدد الحياة!

٣ - التبشير برمضان، والتهنئة بقدمه!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ: «قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» (٢).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٠٥/١) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي. وقال المنذري في الترغيب (١١١/١): «رواه الطبراني واللفظ له والبخاري والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ثم رواه موقوفا وقال: هذا لا يفسد الأول؛ لأن ابن عيينة حافظ، وكذلك ابن المبارك انتهى ورواه أبو حفص بن شاهين، وقال: تفرد به ابن عيينة عن مسعر وحدث به غيره، وهو حديث غريب صحيح». وسكت ابن حجر عنه في التلخيص الحبير (٣٧٢/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥٤١/١٤) (٨٩٩١) وقال أحمد شاكر (٦/٧): «إسناده صحيح».

قال ابن رجب: «قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، كيف لا يبشِّرُ المؤمن بفتح أبواب الجنان؟ كيف لا يبشِّرُ المذنب بغلاق أبواب النيران؟ كيف لا يبشِّرُ العاقل بوقت يغل فيه الشياطين؟ من أين يشبه هذا الزمان زماناً؟»^(١). ورحم الله من قال:

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفسادِ
فأدَّ حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتخذه للمعادِ
فَمَنْ زرع الحبوبَ وما سقاها تأوّه نادماً يومَ الحصادِ

٤ - رمضان سيد الشهور!

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهور شهر رمضان»^(٢). وفي رواية: «وأعظمها حرمة ذو الحجة». فهو أعظم حرمة لما فيه من المناسك، ورمضان أفضل لما فيه من الطاعات^(٣).

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٤٨).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٢٤٣/٥) وقال: «في إسناده ضعف». وفي فتح الباري لابن

رجب (٢٠/٩): «وفي إسناده مقال». وانظر: شعب الإيمان (٣١٠/٥) للرواية

الثانية. لكن جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «سيد الشهور

رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة» كما في المعجم الكبير للطبراني (٢٠٥/٩).

(٣) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير (٤٣٤/٦).

٥ - رمضان موسم من أعظم مواسم الإسلام وعرس من أعراسه المباركة!

رمضان موسم مبارك من أعظم مواسم الإسلام، ولحظات
إيمانية يتزود فيها المسلم ما ينفعه في كل عام، أليس قد قال رسول الله
ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ،
مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(١). كيف لا، وقد شهد أعظم حدث
في تاريخ الأرض، وهو: نزول أعظم كتاب: القرآن الكريم، بواسطة
أعظم ملك: جبريل عليه السلام، على قلب أفضل الرسل: سيدنا محمد
عليه الصلاة والسلام. فرمضان احتفال سنوي بهذه المناسبة المباركة!

٦ - لحظات الصلة بالله متشابهة!

شعرت في أول لحظة من لحظات رمضان لهذا العام (١٤٣٦)
شعوراً يشبه الشعور الذي يتتابني في أول لحظات الإحرام في الحج أو
العمرة! وهو يشبه الشعور الذي يتذوقه المسلم عند تكبيرة الإحرام في
الصلاة!

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس (٢٣٣) عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا يدل على أن لحظات الصلة مع الله تعالى والأنس به متشابهة في ألوانها، وإن كانت مختلفة في كیفياتها! فيا رب لك الحمد على ما أنعمت علينا من حلاوة الإيمان، وبرد اليقين، ويا رب أدم علينا هذه النعمة إلى أن نلتقاك وأنت راض عنا بمنك وكرمك.

٧ - الصيام تكريم إلهي!

إنَّ الصيام تكريم إلهي للإنسان، وهو نعمة تستحق الشكر، فالحمد لله الذي أرشدنا إليه، ودلنا عليه، قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَكُمُ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال المفسرون: «أي: لتعظموه على ما أرشدكم إليه من الشرائع»^(١).

٨ - متى يأتي رمضان؟

يتعامل المحبون مع رمضان، كما يتعامل المحب مع من يحب،
وقديما قال الشريف الرضي في هذا المعنى:

أحنُّ إلى لقاءك كل يومٍ وأسألُ عن إيابك كل وقتٍ
وأذكرُ ما مضى فيغيض صبري وتنفر عبرتي ويروح صمتي

(١) تفسير القرطبي (٢/٣٠٨).

ولي قلبٌ إذا ذكر التلاقي تظلم من يدِ البين المُشتِّ (١)

٩ - أول ليلة، وآخر ليلة!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَمْسًا لَمْ يُعْطِهَنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي: أَمَّا وَاحِدَةٌ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَإِنَّ حُلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يُمَسُونَ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُولُ لَهَا: اسْتَعِدِّي وَتَزَيِّنِي لِعِبَادِي أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِي وَكَرَامَتِي.
وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ لَهُمْ جَمِيعًا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: «لَا، أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ الْعُمَّالِ يَعْْمَلُونَ فَإِذَا فَرَعُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَفُؤَا أَجْوَرَهُمْ؟» (٢).

(١) ديوان الشريف الرضي (ص: ٣٣٣).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٢٢٠)، وقال الدمياطي في المتجر الرابع (ص ٢٧١): =

١٠ - أياماً معدودات!

تأملت قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وتساءلت في نفسي: لماذا وصف الله تعالى شهر رمضان بأنه أيام معدودات، وهو شهر كامل!

فقلت: لعل ذلك إشارة إلى أن أيام الصائم بدافع الحب والرضا مهما كثرت فهي قليلة، ولياليه مهما طالت فهي قصيرة! وهكذا حال الصائم المحب فهو يشعر أن أيامه مهما طالت فكأنها ساعات، ولياليه وكأنها لحظات! أما إذا كان الصيام بدافع الملل، فهو يورث الكسل!

وقديما قال الشاعر:

أَعْوَامٌ وَصَلَّ كَانَ^(١) يُنْسِي طُولَهَا ذَكَرُ النَّوَى، فَكَانَهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجْرٍ أَرْدَفَتْ بِجَوَى أَسَى، فَكَانَهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَانَهَا وَكَانَهُمْ أَحْلَامٌ^(٢)

= «بإسناد لا بأس به إن شاء الله». ويشهد له حديث أبي هريرة في مسند أحمد (١٣/٢٩٥) (٧٩١٧).

(١) في الصناعتين والصبح النبي عن حيشة المتنبى: كاد، ولكن في الديوان: كان.

(٢) ديوان أبي تمام (ص: ١٦٧).

وقال آخر:

ودّع الصبر محبّ ودعك ذائع من سره ما استودعك
 يقرع السنّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطأ إذ شيعك
 يا أخوا البدر سناءً وسناً حفظ الله زمانا أطلعك
 إن يطّل بعدك ليلي فلکم بتُّ أشكو قصر الليل معك! (١)

وقد قالوا: الشهر قصير لا يحتمل التقصير، وقدومه عبور لا يقبل
 الفتور، فالهمة الهمة: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافِسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾
 [المطففين: ٢٦]!

١١ - ما أجمل الصيام عندما يكون بدافع الحب والرضا!

تأملت قول النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ. لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ
 أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. إِنَّمَا يَذُرُّ شَهْوَتَهُ، وَطَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ مِنْ
 أَجْلِي. فَالصَّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. كُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ
 مِئَةٍ ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّيَامَ، فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (٢). فرأيت في قوله: من

(١) ديوان ابن زيدون (ص: ٩٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٤٤٥/٣) والبخاري، كتاب الصوم، باب فضل
 الصيام (١٨٩٤) ومعنى قوله: «لخولوف فم الصائم» أي: تغيير رائحة فمه =

أجلّي، الهدف الأسمى الذي يطمح إليه الصائمون، وغايتهم!

فما أجمل الصيام عندما يكون بدافع الحب، والاحتساب والرضا!
 يترك فيه الصائم طعامه وشرابه من أجل الله سبحانه جبالاً له، وامثالاً لأمره،
 وطلباً لمرضاته، ورغبة لما عنده. والصيام بهذا المعنى ينسي الصائم آلام
 الجوع والعطش!

وعندها تكون لذة ترك الطعام عند الصائمين أجمل من لذته عند

الأكليين!

إنَّ المحب العاشق يترك طعامه وشرابه اضطراراً، ولكن الصائم
 بدافع الحب يترك طعامه وشرابه وملذاته اختياراً؛ وذلك لأنَّ الحب
 الحقيقي يشغل صاحبه عن الطعام والشراب، ومن الأمثلة على ذلك ما
 جاء في كتاب «شعب الإيمان» للبيهقي عن الإمام الجنيد البغدادي أنه
 قال: دفع السري السقطي إلي رقعة، وقال: «هذا خير لك من سبع مئة
 فضة!». فإذا فيها:

ولما ادعيت الحب، قالت: كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا؟!!

= لخلو المعدة بترك الأكل، ومعنى «يذر» أي: يترك. انظر: شرح الزرقاني على

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناذيا
وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكي بها وتناجيا^(١)
إنَّ هذه الأبيات مثال على حب دنيوي يرى صاحبه أن الحب
الصادق ينبغي أن يشغل الإنسان عن طعامه وشرابه حتى يذبل فلا يجيب
من يناديه، وينحل حتى لا يبقى من أعضائه عضو سليم سوى العين
للبيكاء، والمناجاة!

وربما أدى بعض الصائمين هذه العبادة المباركة بدافع العادة،
المصحوبة بالملل، والكسل، وليس بدافع الحب الصادق، والشوق
المقلق! وربما لا يخطر على باله أن الله تعالى قد شرفه به، وأكرمه بأدائه.
وأنه نوع من أنواع شكر المنعم على نعمة البدن.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ
الْجَسَدِ الصَّوْمُ»^(٢). وقد جاء عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه أنه
قال: «الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن
الصيام..»^(٣).

(١) انظر: طبقات الأولياء (ص ١٦٣)، وشعب الإيمان (٤٤ / ٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب في الصوم زكاة الجسد (١٧٤٥)
وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٣) حلية الأولياء (٣ / ١٩٤).

والصوم عندما يؤدي بدافع الحب، والاحتساب تظهر آثاره، وأنواره في سلوك الصائم، وفي مفردات حياته انضباطاً، ونظاماً. وهو بهذا المعنى يحافظ على صفاء المجتمع ونقاؤه. ويُعدُّ من الأساليب الناجحة في القضاء على الجرائم التي تهدد أمنه واستقراره.

١٢ - لعلكم تتقون!

تأملت في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فرأيت أنّ الحكمة من الصيام هي تحقيق التقوى. ولكن ما هي الوسائل التي بيّنها النبي ﷺ للوصول إلى هذه الحكمة؟

قبل الحديث عن هذه الوسائل أود أن أشير إلى أنّ للشيطان مداخل إلى قلب الإنسان، فإذا أردت أن تحقق التقوى، فلا بد أن تسد على الشيطان منافذه، وهي خمس:

١ - فضول الطعام والشراب.

٢ - فضول المنام.

٣ - فضول الكلام.

٤ - فضول النظر.

٥ - فضول الاختلاط بالناس.

ومعنى الفضول هنا: الزيادة على الحد المعتاد، والزيادة من الإسراف المنهي عنه شرعاً، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فهذه الآية الكريمة هي التأسيس لقاعدة ذم «الفضول» التي تحدث عنها علماء التربية، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: نهي عام يشمل كل أنواع الإسراف.

ولا شك أن الفضول من شهوات النفس وأهوائها، ومن خلاله ينفذ الشيطان إلى قلب الإنسان، فلا بد من التخلص منه لسد المنافذ أمام وسوسة الشيطان، وجهاده مطلوب؛ لأنه عدو متربص، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وجهاده يكون عن طريق سد منافذه ومداخله، وعندها يعصم الإنسان من شروره ومفاسده.

والتقوى منزلة عالية رفيعة في الإسلام، وهي أرقى ما يصل إليه المسلم، وقد أعد الله للمتقين أجراً عظيماً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا * وَأَكْوَاعًا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣١-٣٤].

والتقوى هي: أن تجعل بينك وبين المعاصي والذنوب حاجزاً،

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ٢٧

وهي ليست كلمة تقال، ولا شعاراً يرفع، ولا دعوى يستطيع أن يدّعيها كل إنسان؛ وإنما هي غاية سامية تحتاج إلى منهج عمل ووسائل وأساليب لتحقيقها.

فما هي هذه الوسائل؟ وما هي معالجات النبي ﷺ للفضول المتمثل في سد النوافذ الخمس التي ينفذ منها الشيطان للوصول إلى التقوى؟ بيان ذلك بالآتي:

أولاً: أما بالنسبة لفضول الطعام والشراب؛ فقد عالجه النبي ﷺ بالصيام. يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

ومن المؤسف أن بعض المسلمين لم يدركوا الحكمة من الصيام!! وأنه نوع من أنواع التخفف من أثقال الطعام والشراب، ليتعود المسلم بعد ذلك على ترك فضول الطعام والشراب في سائر أحواله، فذهبوا ليسرفوا في الطعام والشراب، ويتفننوا في ألوانه وأنواعه! أجل كم دفع تناول الأطعمة الزائدة إلى أمراض وأسقام، وكم حرم به أناس

(١) أخرجه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (١٩٠١) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦٠).

يتصورون جوعاً وحرماناً، بل ربما يدفع صاحبه إلى أن يمد يده إلى الحرام في سبيل فضول طعام أو شراب!! أليس سد هذا المنفذ باباً من أهم أبواب التقوى؟ وطريقاً من أفضل الطرق التي تقرب الإنسان من الرحمن، وتبعده عن الشيطان؟

ثانياً: وأما فضول المنام؛ فقد كان منهجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج هذه المشكلة بأن سن لنا القيام، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). والقيام يعني: كثرة العبادة من الصلاة وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك.

والقيام بهذا المعنى يخلص المسلم من فضول المنام، وتدريب على القيام، واتباع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل العشر - أي: الأواخر من رمضان - «أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ..»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية (٢٠٠٩) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٤٠) والبخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (٢٠٢٤) ومسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (١١٧٤).

وصدق الشاعر عندما قال:

ينال الوصل من سهر الليالي على الأقدام واستحلى القياما

ثالثاً: وأما فضول الكلام؛ فكان منهجه ﷺ في العلاج بقوله في الحديث القدسي عن الله عز وجل: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمَ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفُثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُقِلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ»^(١).
والرفث: هو الكلام الفاحش، والفعل الفاحش من الجماع ومقدماته.

والصخب: هو رفع الصوت في حالة الغضب.

وفي هذا الحديث إرشاد إلى ترك الكلام المحرم مطلقاً، والاعتذار عن مقابلة مَنْ سب وشتّم. وعلى المسلم في رمضان وفي غير رمضان أن لا يتكلم كثيراً، وإذا تكلم تكلم بما هو خير، قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (١٨٩٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (١١٥١) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (٤٧)، وأبو داود، أبواب النوم، باب في حق الجار (٥١٥٤)، والترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٠).

وفصول الكلام منفذ خطير من منافذ الشيطان، فعلى المسلم أن يحكم إغلاقه وسده.

رابعاً: فضول النظر: وهو من منافذ الشيطان الخطيرة، فعلى المسلم أن يعود نفسه على غض البصر في هذا الشهر المبارك، وأن يثبت على ذلك فيما بعد رمضان. وقد عالج النبي ﷺ هذا الأمر بقوله: «فلا يرفث...». الرفث - كما تقدم - هو الفعل الفاحش من الجماع ومقدماته، والنظر من مقدمات الجماع. وفضول النظر منفذ لا يقل خطورة عن منفذ فضول الكلام، وعلى المسلم أن يجاهد نفسه في إحكام غلقه، والمحافظة على بصره؛ لأنَّ القليل منه حرام.

والنبي عليه الصلاة والسلام لم يكتفِ بالنهي عن فضول الكلام، والنظر؛ وإنما أرشدنا إلى علاج آخر غير مباشر، وهو الإكثار من قراءة القرآن، والاشتغال به، لشغل النفس عن كل ما لا يرضي الله سبحانه. وقد يما قال علماء التربية: «والنفس إن لم تشغلها بالخير، شغلتك بالشر».

خامساً: فضول الاختلاط بالناس: لقد أولى الإسلام القضية الاجتماعية كثيراً من الاهتمام، وجاء كثير من التشريعات والمفردات الإيمانية في السلوك لتنظم ذلك، ومن ذلك: صلة الرحم، وزيارة الأخ لأخيه في الله، وعيادة المريض، والأمر بالسلام وردده، والأمر بالتعاون. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

بل إن الله تعالى أرشدنا إلى الحكمة من جعل الناس شعوباً وقبائل، بقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. والمسلم مكلف بذلك مع ما يجب عليه من السعي في طلب الرزق. ولكن يحتاج إلى وقت يتعد فيه قليلاً عن صخب الحياة، وينسحب من أجواء التوتر والتعب، ليعود إليها بإرادة أقوى، وعزيمة أمضى، ومن هنا كانت سنة الاعتكاف في رمضان لمعالجة منفذ خطير من منافذ الشيطان، وهو فضول الاختلاط.

وعلى المسلم أن يطبق هذا المنهج في رمضان وفي غير رمضان حتى يصل إلى مقام التقوى، ويكون من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

١٣ - الصيام نظام غذائي يتوافق مع الفطرة!

من فوائد الصيام: التخفف من الطعام، وهو أمر يتوافق مع الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها؛ لأن الزيادة من الطعام تحميل للمعدة أكثر من حاجتها! أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. قال ابن القيم: «وفي الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس ما لا يدفعه صحيح الفطرة»^(١).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٢٢٧).

١٤ - الصيام والصحة!

من فوائد الصيام صحة البدن، قال النبي ﷺ: «..وصوموا تصحوا»^(١) واسمع لما يقوله علماء الطب المعاصرون:

١ - أظهرت البحوث الحديثة أنه بإمكاننا تجديد جهازنا المناعي بعد صيام ثلاثة أيام؛ فالصيام يحفز الجسم على إنتاج خلايا الدم البيضاء التي تحارب الالتهابات والأمراض. ونتيجة لذلك فإن الجهاز المناعي للجسم كله يصبح أفضل بإعادة بناء نفسه؛ كما قال البروفسور «فالتر لونغومن» بـ «جامعة جنوب كاليفورنيا».

٢ - من فوائده الصحية: تصحيح أخطاء التغذية، والتخلص من فضلاتها وآثارها الضارة على الجسم والنفس، وإعادة وزن الجسم إلى حدّه المثالي^(٢). والخبر السار أن الجسم أثناء الصيام يتخلص من

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٣٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥٠ / ٢): «ورواته ثقات». وقال الدمياطي في «المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح» (ص: ٢٦٣): «رواه الطبراني، ورجال إسناده ثقات». ورمز له السيوطي بالحسن. وعلى احتمال أنه ضعيف كما ذهب العراقي فهو وارد في فضائل الأعمال.

(٢) انظر: الطب النبوي والعلم الحديث، للنسيمي (٢٥٦ / ١) والحقائق الطبية في الإسلام، لعبد الرزاق الكيلاني (ص ١٧٥).

الأجزاء القديمة أو التالفة! وصدق الله القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٣- يُعدُّ وسيلة فاعلة لتقليل وزن الجسم دون إحداث أي أضرار،
كالتي تحصل في حالات الصيام الشديد المتبع في علاج أمراض السمنة،
وبعض الأمراض المرتبطة بالتغذية.

٤- يعمل الصيام على إراحة أجهزة الجسم المختلفة، وخاصة
الجهاز العصبي والحالة النفسية، والجهاز الغدّي الأصم، والجهاز
الهضمي بعد مُدِّ عملٍ طويلة، مما يفضي إلى تقويتها وزيادة كفاءتها،
كما أن الصيام لا ينطوي على إحداث أية تغيرات صحية سلبية على
أجهزة الجسم المختلفة مثل: القلب والرئتين والكبد والكلية والعينين
ومكونات الدم وخصائصه^(١).

٥- المتتبع لمسيرة البحث العلمي الحديث يجد أن ثمة اهتماماً متزايداً
من الباحثين على دراسة (أثر الصوم في صحة الجسم ووظائفه الحيوية)^(٢).

(١) بعد مراجعة علمية نشرت في العام ٢٠١٠م في مجلة دورية التغذية والأيض، قام
أحد الباحثين بمراجعة ١١٣ بحثاً علمياً محكماً أخذت من خلال موقع Medline.

(٢) ولا أدل على ذلك مما نجده في محرك البحث العلمي Pubmed عند وضع
كلمة الصيام باللغة الإنجليزية Fasting، حيث نجد قرابة ٩٠ ألف مقال علمي
ويبحث محكم. وسبب ذلك: أن الصوم يعد واحداً من أدوات الطب التكميلي =

مع التنبيه إلى أن المسلم لا ينبغي أن يقصد الصحة من صيامه، وإنما يأتي ذلك تبعاً دون قصد، فهو يصوم؛ لأن الله سبحانه أمره بالصيام.

١٥ - الصيام تهذيب لا تعذيب!

الصوم دورة تدريب يقصد منها تهذيب النفس من الشره، والغرام المصاحب لملاذ الأطعمة والأشربة! ولا يراد منه التعذيب المؤدي إلى إرهاق النفوس كما هو الحال عند بعض أصحاب الديانات المحرفة!

١٦ - رمضان كالوطن الجميل!

رمضان كالوطن يلجأ إليه، ويؤنس في رحابه. قال رمضان: أنا أصبحت الوطن، فهل أنستم بي؟ قلت: أنت الروح والأهل والوطن.

وهو يمثل رمزية الزمان المبارك في الإسلام.

= والبديل الذي ازداد توجه إليه في الآونة الأخيرة، وشكلاً من أشكال الاهتمام بالجانب الروحي الذي بدا جلياً لدى كثير من شعوب الأرض، وأصبح ينظر إليه كجزء لا يمكن فصله عن عملية الرعاية الصحية، حتى في المجتمعات الغربية المعاصرة. أما البحث العلمي حول الصيام عند المسلمين، فنجد في محرك البحث العلمي ذاته عند وضع كلمة Ramadan Fasting العدد يقرب من ٦٠٠ بحث علمي محكم. انظر كتاب: الغذاء في القرآن الكريم من منظور علم التغذية الحديث، لمعز الإسلام فارس (ص ٣١٠-٣٣٠).

١٧ - الصيام ومحاكاة شعور المحرومين!

الصيام: تجربة عملية يحاكي بها الصائم شعور الجائعين المحرومين المعذبين في الأرض بسبب الحرمان! وقد جاء التنفير من الجوع بأسلوب الاستعاذة بالله تعالى منه، يدل على ذلك قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بئْسَ الضَّجِيعُ»^(١). فلولا أنه كان شرًّا لما استعاذ النبي ﷺ منه. وهو آفة الآفات في هذا العصر، وقد تجاوز عدد الذين يعانون من سوء التغذية حسب آخر الإحصائيات (٨٨٤) مليوناً!!^(٢).

١٨ - الصيام تدريب على تحمل متاعب الحياة!

وهو تجربة عملية يتعلم فيها الإنسان الصبر على تحمل شدائد الحياة، ومتاعبها! وقد سماه النبي ﷺ شهر الصبر^(٣).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة (١٥٤٧) والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع (٥٤٦٨) وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع (٣٣٥٤).

(٢) انظر الموقع الإلكتروني: www.worldometers.info.

(٣) سمي بذلك كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب في صوم أشهر الحرم (٢٤٢٨) وإسناده صحيح.

وهو لون من ألوان التنوع في الحياة، وهو بهذا المعنى له أثر في إبعاد شبح الملل في حياة الإنسان.

١٩ - الصيام والارتقاء!

تأملت قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فرأيت أن الصوم وسيلة من أعظم الوسائل التي يرتقي بها العبد المؤمن إلى المنازل العالية في القرب من الله تعالى.

فلينظر أحدنا إلى صيامه فإن ارتقى به فليهنأ، وليعلم أنه على خير عظيم، وإن وجد غير ذلك فليعلم أن خلاطاً طراً، فأقعده عن الدرجات العالية من القرب والترقي.

وعلامة ذلك: أنه كلما صام، ازداد قرباً من ربه سبحانه، ويشعر أنه أشد تعلقاً به، ومحبة له، وطاعة لأوامره، ونفوراً من معاصيه، ومحبة لأوليائه، وبغضاً لأعدائه.

فيا إلهي لا تحرمننا من هذه الألفاظ، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

٢٠ - الصيام والإخبات لله تعالى!

الصوم يورث الإخبات لله تعالى، وهو خير وسيلة لتحقيقه في

فاغتنم أيها الصائم هذا الخير العميم، وقم في لياليه المباركة متحققاً بالعبودية لله تعالى، واغسل العين بدموع الندم، وامسح القلب بماء حياة الإخبات إلى الله تعالى، وزمزم الإنابة إليه.. وعش أجمل لحظات عمرك وأنت تصوم مع الملايين من عباد الله سبحانه، وكلهم واقفون على بابه، يرجون القبول!

٢١ - رمضان عودة إلى فطرة الحياة!

رمضان عودة إلى فطرة الحياة التي أرادها الله تعالى للإنسان، لاسيما في زمن التيه. وخلاص له من الحياة الافتراضية التي فرضت عليه في هذا العصر، عصر وسائل الاتصال الحديثة! وقد صور أحد الشعراء هذا التيه بقوله:

رمضان عذراً طال عنك غيابي	إنني شغلت بعالم الواتساب
وغرقت في الفيسبوك في صفحاته	في لجة التعليق والإعجاب
وتركت ذكر الله عني جانباً	وهجرت في رمضان أي كتابي
وعكفت في عش التويتري هائماً	ومغرداً من دون أي حساب
رمضان كنز مر مني هكذا	ألهو مع الآيفون والألعاب
أقضي مع التلفاز كل نهاره	ويكون في الإفطار خير شراب
النصف مر ولم أكن أنصفته	من همتي أو قوتي وشبابي

٣٨ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

فإذا هلال العيد أعلن أنه آتٍ أبيت بحسرتي وعتابي (١)

٢٢ - الصوم تذكير بهائدة الكون العظيمة!

١ - الكون مائدة عظيمة خلقها الله وجعل عليها أنواع الأطعمة والأشربة تكريماً لك أيها الإنسان، ولكنك تغفل عن هذه النعم لاعتيادك عليها فجعل الصوم تذكيراً لك.

٢ - كل ما تملكه أيها الإنسان ظاهراً، هو ملك لله حقيقة، والنفس المتجبرة تشعر بأنها المالكة ناسية أو متناسية بأن المالك الحقيقي هو الله جل جلاله؛ فكأنَّ الصيام يقول للنفس: «أيتها النفس أما وقد مُنعتِ عن هذا الطعام؛ إذا فمالكه أحد غيرك، فانتظري أمره لتأكلي» وأمره هو الأذان.

٣ - علمنا أن من حكم الصيام: الشعور بالفقراء فتوقفنا عند ذلك؛ ولكن الحكمة الحقيقية هي أن نحاول إطفاء جوعنا وعطشنا بإطعام الفقراء وسقيهم!!

٤ - الصوم يرتقي بالمسلم من الحاجات البشرية الدنيوية ليصبح في وضع أقرب للملائكية فيزيد من عبادته ويسمو بروحه.

٥ - الصوم حمية مادية ومعنوية في آن واحد: فتمنع الأكل عن

(١) للشاعر هلال الشياحي العماني.

الأكل رافة بجسده، وتمنع جوارحه عن اكتساب الآثام رافة بروحه؛ وبذلك يحفظ دنياه وآخرته^(١).

٢٣ - أسباب الصيام:

من يتمعن الآيات الواردة في فريضة الصوم يجد أن أسبابه أربعة،

وهي:

١ - تحقيق التقوى، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢ - لأنه نزل فيه القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٣ - أن نكبر الله على ما هدانا إلى هذه الفريضة العظيمة، قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾.

٤ - أن نشكر الله سبحانه على هذه النعمة الكريمة، قال تعالى:

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) كتبها ولدي محمد نور الدين، وبعض أفكارها مستفادة من رسالة الشكر

٢٤ - إحياء الحب المفقود!

من بركات رمضان أنه شهر لإحياء الحب المفقود، وتجدد المودة بين الناس، وفيه تتجلى آثار قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومن آثار محبة العبد لله تعالى: أن هذه المحبة تفيض من قلبه على جوارحه، عبادةً واتباعاً للنبي عليه الصلاة والسلام، وأعمالاً صالحة. وتترجم محبة للناس ومجالسةً لهم، وإحياء للتزاور فيما بينهم، وبذل ما يمكن في سبيل إسعادهم، وإدخال السرور على قلوبهم، وخدمتهم. وجزاء ذلك أن الله يحبهم، ويغفر لهم ذنوبهم؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقد جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ. وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ. وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ. وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»^(١). وهذه الخصال مطلوبة ومحبوبة في كل الأيام، إلا أنها في رمضان تكون أكثر طلباً؛ لأنه شهر طاعة وإحسان.

٢٥ - بين الصيام والقرآن علاقة وثيقة!

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٥/١٣٩١).

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ٤١

«الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يُشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنْعْتُهُ
الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَّعَنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنْعْتُهُ النَّوْمَ
بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعَنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» (١).

٢٦ - الصوم حسنة عظيمة!

قال الإمام الدهلوي: «والصوم حسنة عظيمة، يقوِّي الملكية
ويضعف البهيمية، ولا شيء مثله في صقل وجه الروح، وقهر الطبيعة،
ولذلك قال الله تعالى - في الحديث القدسي - : «الصوم لي وأنا أجزي
به». ويكفر الخطايا بقدر ما اضمحل من سورة البهيمية، ويحصل به تشبه
عظيم بالملائكة، فيحبونه، ويكون متعلق الحب إثر ضعف البهيمية، وهو
قوله ﷺ: «لخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». وإذا جعل
رسماً مشهوراً نفع عن غوائل الرسوم، وإذا التزمته أمة من الأمم سُلست
شياطينها، وفتحت أبواب جنانها، وغلقت أبواب النيران عنها» (٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١١/١٩٩) (٦٦٢٦) والطبراني في المعجم الكبير
(٧٢/١٤) والحاكم في مستدرکه ٥٥٤ / ١، وصححه على شرط مسلم، ووافقه
الذهبي، وحسن المنذري إسناده في الترغيب (٢/٥٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد
(٣/١٨١): «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح».

(٢) حجة الله البالغة (١/٢٥٨).

٢٧ - رمضان والقرآن!

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان من أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، يلقاه كل ليلة يدارسه القرآن، فكان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، أجود من الريح المرسلة»^(١). وهذا فيه دلالة بالغة على استحباب دراسة القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك، والاجتهاد في ذلك، والإكثار من تلاوته فيه، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، والزيادة في مدارسته.

ولذلك عمل بهذه السنة النبوية سلف الأمة. قال الحافظ ابن رجب: «كان السلف يقبلون على تلاوة القرآن في رمضان، في قيام رمضان، في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشرة منهم أبو رجاء العطاردي، وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان (١٩٠٢) ومسلم في الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٢٣٠٨).

(٢) لطائف المعارف (ص: ١٧١).

ومن الأمثلة على ذلك:

أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان يقرأ القرآن في الجمعة، ويقرأه في رمضان في ثلاث^(١). وفي لفظ آخر: «كان ابن مسعود يختم القرآن في ثلاث، لا يستعين عليه من النهار إلا باليسير»^(٢).

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة^(٣). وكان أبو حنيفة إذا دخل شهر رمضان تفرغ لقراءة القرآن^(٤).

وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف^(٥).

وكان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة، كل ذلك في صلاة^(٦).

(١) حلية الأولياء (١٦٦/٧).

(٢) شعب الإيمان (٤٨٢/٣) (١٩٨٤).

(٣) حلية الأولياء (٣٣٨/٢).

(٤) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص ٥٧).

(٥) لطائف المعارف (ص: ١٧١).

(٦) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٤) وحلية الأولياء (٩/١٣٤). وانظر: تاريخ

الإسلام (١٤٦/٥).

وكان البخاري يختم القرآن عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة^(١).

وكان علي الأزدي يختم القرآن في رمضان كل ليلة^(٢).

وكان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادات - يعني النوافل - وأقبل على تلاوة القرآن^(٣).

وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ستّ ليالٍ^(٤).

وقال مالك: ولقد أخبرني من كان يصلّي إلى جنب عمر بن حسين في رمضان قال: فكنت أسمعه يستفتح القرآن في كل ليلة، فقلت لمالك: أفي ليلة؟ قال: بل نسمعه في الليل، حتى إذا كان من الليلة الأخرى، يستفتح في أول القرآن. قال مالك: يختمه في ليلة ويوم^(٥).

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٢٤).

(٢) تهذيب الكمال (٤٢/٢١).

(٣) لطائف المعارف (ص ١٧١).

(٤) حلية الأولياء (٢/١٠٣)، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢/٧٨٩، ٧٩٠).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٩٠). وانظر: المعرفة والتاريخ للفسوي

وعن هشام بن حسان، قال: صليت إلى جنب منصور بن زاذان فيما بين المغرب والعشاء في رمضان، فختم القرآن وبلغ في الثانية إلى النحل^(١).

وكان التابعي الجليل سعيد بن جبير يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان^(٢).

وكان أبو سعد بن إبراهيم إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين - لم يفطر حتى يختم القرآن، وكان يختم فيما بين المغرب والعشاء الآخرة. قال يعقوب: وكانوا يؤخرون العشاء الآخرة في رمضان تأخيراً شديداً^(٣).

وكان أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة مولى آل عبيد بن عثمان القرطبي يختم القرآن في رمضان ستين ختمة^(٤).

وقال البغوي: ما رأيت بعد أحمد أفضل من زهير بن محمد المروزي، حدثني ابنه محمد: أنه كان يختم في رمضان تسعين ختمة^(٥).

(١) شعب الإيمان (٣/٤٩٠).

(٢) حلية الأولياء (٤/٢٧٣).

(٣) شعب الإيمان (٣/٥٢٣).

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (٢/١٩٠).

(٥) الكاشف للذهبي (ص ٤٠٧).

وقال الأعمش، قال: «بتنا ليلة سبع وعشرين من رمضان في مسجد الإياميين عند طلحة وزيد، فأما زيد فختم القرآن بليل ثم رجع إلى أهله، وأما طلحة فكرر فيه حتى ختم مع الصبح، أو قال مع الفجر»^(١).

وأخبارهم في هذا الشأن كثيرة لا يتسع المقام لبسطها. وإنما المقصود التنبيه على عنايتهم بالقرآن، وتلاوتهم له في شهر رمضان، والتأسي بهم في ذلك.

ولكن قد يقال: كيف نوفق بين ما ثبت من ختم بعض السلف في أقل من ثلاث، وبين ما جاء عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوة... حتى قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»^(٢). وفي رواية: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٣).

والجواب: ما قاله الإمام ابن رجب الحنبلي: «وإنما ورد النهي

(١) حلية الأولياء (١٨/٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦٧) ومسلم (١١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٩٠) والترمذي في جامعه (٢٩٤٩) وقال: «هذا

حديث حسن صحيح».

عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم»^(١).

٢٨ - رمضان والقيام!

الأصل في القيام ما سنه النبي ﷺ بدليل ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، فيقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرًا من خلافة عمر - رضي الله عنهما -^(٢).

(١) لطائف المعارف (ص ١٧١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة في رمضان، باب الترغيب في الصلاة في رمضان (٢٤٩)، والبخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (٢٠٠٩)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (١٨١٦) واللفظ له، وأبو داود، كتاب شهر رمضان، باب في قيام شهر رمضان (١٣٧٣) والترمذي، كتاب الصوم، باب الترغيب في قيام رمضان وما جاء فيه من الفضل (٨٠٨).

وتسن فيها الجماعة، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ، صلى في المسجد ذات ليلة، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ» قالت: وذلك في رمضان (١).

فعلَّ النبي ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضى للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم... وخوف الافتراض قد زال بموته ﷺ فانتفى المعارض، وحصل الأمن من ذلك.

فكان الناس بعد ذلك يصلون قيام رمضان جماعات وفرادى في المسجد على عهد النبي ﷺ، ويقرهم (٢).

(١) رواه مالك، كتاب الصلاة في رمضان، باب الترغيب في الصلاة في رمضان (١١١/١٧٥). والبخاري، كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦١) واللفظ له.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٩٥/٢).

والأفضل أن يصلّيها مع الإمام في جماعة حتى ينصرف الإمام ليكتب له قيام الليل كله؛ لما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل.

فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة؟

قال: فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةً». قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح! قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بقية الشهر^(١).

ومعنى قوله: إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، أي: صلى العشاء جماعة مع الإمام، ثم صلى بعدها معه ما تيسر له حتى ينصرف الإمام من صلاة القيام حصل له ثواب قيام ليلة كاملة، بخلاف من صلى الفرض، ثم رجع^(٢).

(١) أخرجه أبو داود، أبواب قيام الليل، باب في قيام شهر رمضان (١٣٧٥) واللفظ له، والترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في قيام شهر رمضان (٨٠٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) انظر: مرعاة المفاتيح (٣١٨/٤).

٥٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

فقد قام رسول الله ﷺ الليل بأصحابه جماعة ثلاث ليال، لكن لم يداوم على جماعة واحدة؛ لئلا يفترض عليهم، فلما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى استقرت الشريعة، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه جمعهم على إمام واحد.

قال ابن عبد البر: «فلما علم ذلك عمر من رسول الله ﷺ، وعلم أن الفرائض لا يزداد فيها ولا ينقص منها بعد موته عليه الصلاة والسلام أقامها للناس، وأحياها، وأمر بها، وذلك سنة أربع عشرة من الهجرة، وذلك شيء ادخره الله له وفضّله به»^(١).

٢٩ - قيام رمضان في عصر الصحابة رضي الله عنهم!

بقي أمر صلاة القيام في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وصدراً من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما كان عليه العمل في زمن النبي ﷺ، ثم جمعهم عمر على إمام واحد:

قال عبد الرحمن بن عبد القاري: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط.

(١) التمهيد (١٠٩/٨).

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ٥١

فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب.

ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد: آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله^(١).

وعن قيس بن طلق قال: زارنا طلق بن علي في يوم من رمضان، وأمسى عندنا، وأفطر، ثم قام بنا الليلة، وأوتر بنا، ثم انحدر إلى مسجده، فصلى بأصحابه، حتى إذا بقي الوتر قدم رجلاً، فقال: أوتر بأصحابك، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «لا وتران في ليلة»^(٢).

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان (٢٥٠) والبخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (١٩٠٦) واللفظ له. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب من كان يرى القيام في رمضان (٧٧٨٨) وفيه: أن عمر بن الخطاب أمر أياً أن يصلي بالناس في شهر رمضان. وفي باب في قيام رمضان (٧٧٩٠) وفيه: قال عمر: في الساعة التي ينامون فيها أعجب إلي من الساعة التي يقومون فيها.

(٢) رواه أبو داود واللفظ له، باب تفريع أبواب الوتر، باب في نقض الوتر (١٤٣٩) والترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء لا وتران في ليلة (٤٧٠).

٣٠ - كم آية كان يقرأ في الركعة الواحدة؟

قال أبو عثمان: دعا عمر القُراء في رمضان، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية، والوسط خمساً وعشرين آية، والبطيء عشرين آية^(١).

وكان أيوب السخيتاني البصري يؤمُّ أهل مسجده في رمضان ويصلِّي بهم قدر ثلاثين آيةً في الركعة، وكان يصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية، وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، وكان يوتر بهم ويدعو بدعاء القرآن ويؤمّن من خلفه، وكان آخر ما يقول يصلي على النبي ﷺ ويقول: اللهم استعملنا بسنته، وأوزعنا بهديه، واجعلنا للمتقين إماماً، ثم يسجد، فإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات^(٢).

وقال المثنى بن سعيد: أدركت عمران بن عمام، وهو إمام مسجد بني ضبيعة، يؤمُّهم في رمضان، ويختم بهم في كل ثلاث، ثم أمَّهُم فتادة، فكان يختم في كل سبع^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب صلاة التطوع والإمامة وأبواب متفرقة،

باب في صلاة رمضان (٧٦٧٢) (٢/١٦٢).

(٢) تاريخ الإسلام (٣/٦١٨).

(٣) المصدر السابق (٢/٩٨٣).

وقال أبو الأشهب، قال: «كان أبو رجاء يختم بنا في قيام رمضان لكل عشرة أيام»^(١).

وفي رواية عن مالك، عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال: «أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا للناس بأحد عشرة ركعة، قال: وكان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر»^(٢).

قال ابن حجر: «قال شيخنا: لعل هذا كان من فعل عمر أولاً، ثم نقلهم إلى ثلاث وعشرين».

قلت: يدل على ذلك ما جاء عن السائب بن يزيد أنه قال: «كان الناس يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة، قال: وكانوا يقرؤون بالمئين، وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام»^(٣).

(١) حلية الأولياء (٢/٣٠٦).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٨/١١٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما روي في عدد ركعات القيام في شهر رمضان (٢/٤٩٦).

وقد صحح إسناد هذا الأثر غير واحد من الحفاظ، منهم الإمام النووي في الخلاصة (١/٥٧٦) (١٩٦١)، والمجموع (٤/٣٣)، وابن العراقي في =

قال الداودي وغيره: ليست رواية مالك عن السائب بمعارضة برواية من روى عن السائب ثلاثاً وعشرين ركعة، ولا ما روى مالك عن يزيد بن رومان قال: «كان الناس يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة» معارضة لروايته عن السائب؛ لأن عمر جعل الناس يقومون في أول أمره بإحدى عشرة ركعة كما فعل النبي ﷺ، وكانوا يقرؤون بالمئين، ويطولون القراءة، ثم زاد عمر بعد ذلك فجعلها ثلاثاً وعشرين ركعة على ما رواه يزيد بن رومان، وبهذا قال الثوري، والكوفيون، والشافعي، وأحمد، فكان الأمر على ذلك إلى زمن معاوية، فشق على الناس طول القيام لطول القراءة، فخففوا القراءة وكثروا من الركوع. فليس ما جاء من اختلاف أحاديث قيام رمضان يتناقض، وإنما ذلك في زمان بعد زمان^(١). قال ابن حجر: «فالجمع إذاً بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس»^(٢).

= «طرح الشريب»، والسيوطي في «المصابيح» وغيرهم، ولا نعلم أحداً من أئمة العلم من المتقدمين قد ضعفه. وانظر تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط على شرح السنة للبخاري (٤/٤٩).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/١٤٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/٢٥٣) وانظر: التمهيد لابن عبد البر (٨/١١٤) وعمدة القاري (١٧/١٥٦).

٣١- متى يبدأ القيام؟ ومتى ينتهي؟

قال الحسن البصري: كان الناس يقومون في رمضان فيصلون العشاء حين يذهب ربع الليل، وينصرفون وعليهم ربع آخر^(١).

وعن عمران بن حدير رحمه الله أنه قال: أرسلت إلى الحسن رحمه الله فسألته عن صلاة العشاء في رمضان أنصلي، ثم نرجع إلى بيوتنا فننام، ثم نعود بعد ذلك؟ فأبى، قال: لا، صلاة العشاء ثم القيام^(٢).

وقال ابن تيمية: «السنة في التراويح أن تصلى بعد العشاء الآخرة كما اتفق على ذلك السلف والخلف»^(٣).

وهي كذلك عند الشافعية، ونصهم: «وينوي بها التراويح أو قيام رمضان، وفعالها أول الوقت أفضل من فعالها أثناءه بعد النوم»^(٤).

والحنفية، ونصهم: «والمستحب فعالها إلى ثلث الليل، وقيل: بعد العشاء قبل الوتر، وهو قول عامة المشايخ؛ لأنها إنما عرفت بفعل الصحابة فكان وقتها ما صلوها فيه، وهم صلوها بعد العشاء قبل الوتر»^(٥).

(١) مصنف عبد الرزاق (٧٧٣٩).

(٢) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي (٢٢٥/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١١٩/٢٣).

(٤) فتح المعين للملياري (١٦٨/١).

(٥) مجمع الأنهر (١٣٦/١).

وقيل لأحمد وأنا أسمع: يؤخر القيام - يعني: التراويح - إلى آخر الليل؟ قال: لا، سنة المسلمين أحبُّ إلي (١).

وقال ابن القيم: «واختلف قوله - يعني أحمد - في تأخير التراويح إلى آخر الليل فعنه إن أخرجوا القيام إلى آخر الليل فلا بأس به كما قال عمر فإن الساعة التي تنامون عنها أفضل؛ ولأنه يحصل قيام بعد رقدة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

وروى عنه أبو داود: لا يؤخر القيام إلى آخر الليل سنة المسلمين أحب إلي؛ وجهه فعل الصحابة، ويحمل قول عمر على الترغيب في الصلاة آخر الليل ليواصلوا قيامهم إلى آخر الليل لا أنهم يؤخرونها، ولهذا أمر عمر من يصلي بهم أول الليل.

قال القاضي: قلت: ولأن في التأخير تعريضاً بأن يفوت كثيراً من الناس هذه الصلاة لغلبة النوم» (٢).

٣٢ - هل كانوا يصلون القيام في أول الليل ثم يعودون؟

هذه المسألة تسمى عند الفقهاء بـ«التعقيب»، قال ابن قدامة: «هو أن يصلي بعد التراويح نافلة أخرى جماعة، أو يصلي التراويح في جماعة

(١) مسائل أحمد بن حنبل رواية أبي داود (٩٠ / ١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٩١٨ / ٤).

أخرى. ثم نقل عن أحمد: أنه لا بأس به..»^(١).

وقد نقل محمد بن نصر في «قيام الليل» عن الحسن وقتادة أنهما كانا يكرهان التعقيب في رمضان، وعن سعيد بن جبير أنه كره التعقيب في رمضان، ولكن جاء عن أنس - رضي الله عنه - أنه كان لا يرى به بأساً، وقال: «إنما يرجعون إلى خير يرجونه، أو يفرون من شريخافونه»^(٢).

٣٣ - أهل المدينة وقيام رمضان!

قال الترمذي: «رأى بعضهم أن يصلي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر، وهو قول أهل المدينة، والعمل على هذا عندهم بالمدينة»^(٣).

وقيل: ثمان وثلاثون، رواه محمد بن نصر من طريق ابن أيمن عن مالك قال: يستحب أن يقوم الناس في رمضان بثمان وثلاثين ركعة، ثم يسلم الإمام والناس، ثم يوتر بهم بواحدة، قال: وهذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة إلى اليوم^(٤). وكأنه جمع ركعتين من الوتر

(١) المغني لابن قدامة (٢/١٢٥).

(٢) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي - اختصار المقرئزي (١/٢٤٥).

(٣) سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في قيام شهر رمضان (٨٠٦).

(٤) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي - اختصار المقرئزي (١/٢٢٢).

مع قيام رمضان وسماها من قيام رمضان، وإلا فالمشهور عن مالك ست وثلاثون والوتر بثلاث، والعدد واحد.

وقال الإمام تقي الدين السبكي: «أراد أمير المدينة أن ينقصها عن العدد الذي كان أهل المدينة يقومون به وهو تسع وثلاثون؛ فشاور مالكا فنهاه عن ذلك»^(١). وعمدة المالكية المتأخرين على ما جاء في مختصر خليل: «وتجزئ ثلاث وعشرون، ثم جعلت ستا وثلاثين»^(٢).

٣٤ - رمضان والدعاء!

بين رمضان والدعاء علاقة وثيقة؛ أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقد جاءت هذه الآية الكريمة في وسط آيات الصيام من حيث الترتيب، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية الدعاء في رمضان. وأما في السنة النبوية، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةَ مَا تُرَدُّ»^(٣).

(١) إشراف المصاييح في صلاة التراويح، ص ٧١.

(٢) مختصر خليل (١/٣٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته (١٧٥٣) والحاكم

(١/٥٨٣) وصححه.

ولكن أيها الإنسان: حقق من نفسك الاستجابة قبل أن تتهم ربك
تعالى بعدم الإجابة؛ وأكمل الآية: ﴿فَلَيْسَ تَجِيبُوا إِلِيَّ وَلِيُؤْمِنُوا إِلَيَّ لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ﴾.

من أسماء الله تعالى: المجيب، فهل أنت تحققت بوصف
المستجيب؟!

المؤمن العاقل هو الذي يوجّه الاتهام إلى نفسه، ويطهر قلبه
ولسانه من اتهام ربه سبحانه.

ما أجمل أن تخضع مرادك لمرادات الله تعالى! فأنت تعلم أن من
أسماء الله تعالى الحكيم، فهو يختار لك في العطاء، وفي إجابة الدعاء ما هو
أنفع لك زماناً ومكاناً، فطب نفساً، ونم قرير العين مرتاح الضمير. قال النبي
ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ
بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا
أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قالوا: إِذَا نُكِّثُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ» (١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٣/١٧) (١١١٣٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه، وقال الدمياطي في المتجر الرابع (ص: ٤٨٥): «رواه أحمد والبخاري وأبو
يعلى بأسانيد صحاح والحاكم وقال: صحيح الإسناد». وله شاهد من حديث
عبادة بن الصامت عند الترمذي (٣٥٧٣) وقال: «هذا حديث حسن صحيح
غريب».

٦٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

فيجب أن ننزه الحق سبحانه عن النسيان، وعن الظلم والغفلة والإهمال! نعم، إنه يمهل لعلك تعود إلى رحابه، وتقف على أبوابه، وتتعمق بلذيق مناجاته وخطابه! ولكن لا يهمل!

إنَّ الحق سبحانه إذا أعطى أدهش، فلا حدود لعطائه، ولكنه إذا حاسب فتش! فكن من الحلیم علی حذر؛ أليس قد قال تعالى:
﴿ وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

إنَّ الله سبحانه معك؛ فهو القائل: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]. ولكن متى ستكون أنت معه؟ أليس قد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثَمَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(١).

٣٥ - العبادات

وأثرها في هندسة الحياة!

من أهم حكم العبادات: أن لها أثراً في هندسة الحياة؛ ويظهر ذلك جلياً في الصلوات الخمس الموزعة في ساعات الليل والنهار بأسلوب محكم عجيب! ولو أنها أقيمت على الوجه المطلوب كما أمر الله تعالى لما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً، وأحمد في مسنده (٥٦٨/١٦) عن أبي هريرة متصلاً، وإسناده صحيح.

انقطعت عبادة الله تعالى في الأرض ولا لحظة! ويظهر ذلك جلياً في الصيام أيضاً: المفروض والمسنون، الموزع على أيام الأسابيع، والشهور.

خطر لي ذلك، وقد شهدت يوم الاثنين في المدينة المنورة، ويوم الخميس في مكة المكرمة، من شهر جمادى الآخرة، سنة (١٤٣٦)، ورأيت كيف تفرش الموائد قبل الغروب استعداداً للإفطار، وقد أصبح ذلك عرفاً متبعاً في الحرمين الشريفين في رمضان، وفي الأيام البيض من كل شهر عربي، وغير ذلك من الأيام مما ورد التوجيه النبوي بصيامها.

ورأيت كيف يقبل المسلمون على العبادة، فينصبغون بألوانها، وأنوارها، وينغمسون في بحار الرحمات الإلهية، وهم يؤدونها!

فهتفت في نفسي قائلاً: كم للعبادات من أثر في هندسة الحياة! وكيف سيكون شكل الحياة ولونها لو خلت منها؟ وصدق الله تعالى القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٣٦- رمضان والعمرة!

من أراد أن يشهد أعراس الإسلام، ومواسمه العظيمة فعليه بأيام ذي الحجة في مكة المكرمة، ومن أقعده العذر عن الحضور فعليه بعمرة

في رمضان؛ أليس قد قال رسول الله ﷺ: «..فإنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي» (١).

مكة كرمها الله وجملها في كل الأزمنة، ولكنها في رمضان هي أجمل!

وقد كان لكثير من سلفنا الصالح عناية خاصة بالعمرة في رمضان، ومن هؤلاء: الفقيه محمد بن هبة الله بن ثابت، الإمام، أبو نصر، البندنجي رحمه الله (ت: ٤٩٥ هـ)، فقد كان يعتمر في رمضان ثلاثين عمرة (٢).

٣٧ - عشر دقائق في رحاب البيت العتيق!

شهدت رمضان في عدد من المدن والعواصم العربية ابتداء من مدينة حلب، وبغداد، وعمان، ومسقط، ودبي، والشارقة، ومراكش، وفاس، والرباط، والدار البيضاء، وطنجة، وإسطنبول، وبيروت، وغيرها، ورمضان في كل مدينة من هذه المدن له نكهة خاصة، وطعم خاص متميز.

(١) أخرجه البخاري، أبواب العمرة، باب عمرة في رمضان (١٧٨٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان (١٢٦٥) وأبو داود، كتاب المناسك، باب العمرة (١٩٩٢) ولفظه: «..تعديل حجة معي».

(٢) طبقات الشافعيين لابن كثير (ص ٥١٦)، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩٧/١٩).

وكنت لا أحضر شهر رمضان فقط، وإنما أشهد عرساً من أعراس الإسلام ومواسمه العظيمة!

وقدّر الله هذا العام (١٤٣٥ هـ) فشهدت رمضان في رحاب البيت العتيق في مكة المكرمة، فإذا بالنكهة تختلف تميزاً، وبركة، وحضوراً، وإذا هو عرس الأعراس، وموسم المواسم!

والتحضير لهذا الموسم العظيم كان بإشارة نبوية عندما قال رسول الله ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ، تَعْدِلُ حَجَّةً» (١).

وفهم المسلمون هذه الإشارة النبوية، فهم يطبقون ذلك منذ أربعة عشر قرناً! وهذا مثال جديد على مدى تأثير الكلمات النبوية في العالم! حضرت اليوم إلى المسجد الحرام بعد العصر، كان الازدحام شديداً، وشعرت كأني في موسم الحج من أيام ذي الحجة، الملايين من البشر تفرش الأرض، وتلتحف السماء!

وما أن يقترب موعد الغروب إلا وتجد جيشاً من أهل مكة، والوافدين عليها من المتطوعين والمتبرعين، وهم يفرشون الموائد، ثم تملأ بما قسم الله تعالى، ولكن سيد الطعام على موائد رمضان هو التمر،

وسيد الشراب هو زمزم، تطبيقاً لكلمات النبوة في الإفطار.

من أجمل اللحظات التي عشتها في حياتي تلك اللحظات التي تسبق الفطور، الكل في عبادة ما بين قارئ للقرآن الكريم، ومسبح، وذاكر، وطائف، وقائم! إنها لحظات خشوع بالغ، وسكينة تنزل على هؤلاء العابدين. ومن جميل ما ترى تلك الأكف المرفوعة إلى الله سبحانه قبل الأذان.

ولحظة تغرب الشمس يرتفع الأذان في جو السماء بالتكبير، ويفطر الصائمون، وما أجملها من فرحة، لاسيما إذا كانت هذه الفرحة في رحاب البيت العتيق، فأنت تفطر في مكان يجتمع فيه أكثر من مليون فرحة، وأكثر من مليون دعوة، من مختلف الأجناس والأعراق.

لكن المدهش في الأمر أن مدة الإفطار لا تتجاوز عشر دقائق، يقوم المسلمون بعدها لصلاة المغرب! من رتب هذا الترتيب، ومن أدار هذه العمليات الضخمة من إفطار، وتنظيف، إنهم جنود مجهولون دافعهم حب الله تعالى، وانتظار الأجر منه، وكل ذلك أثر من آثار الكلمة النبوية في العالم، أليس قد قال النبي ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»^(١). فما أعظم رمضان، ولكن ما أعظم رمضان في أم القرى!

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً (٨٠٧) =

حفظ الله الحرمين ففيهما عز الإسلام، ومجده، ورونقه، فهما محط الإيمان، ومنها تتدفق الخيرات والبركات على مر الزمان، وكر الأيام. وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فيا أيها الإنسان الضعيف يا من امتلأ قلبه بالخوف، ويا من امتلأت نفسه بالعاهات والآفات! هيا بنا إلى تلك الرحاب لنملأ قلوبنا بالأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام.

وأنت يا من تركت الأهل والولد، ستجد أهلاً هم أشفق عليك من أهلك، وأخوة هم أرأف بك من إخوتك وولدك! نعم، ربما كان عدد أهلك قليلاً، ولكن اذهب إلى هناك لتشهد الملايين من إخوة الإيمان، ومن شتى الأعراق والبلدان.

ومن أقعده العذر عن شد الرحال إلى تلك الرحاب الطاهرة فله في بيوت الله سلوة عما فاتة!



= وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً (١٧٤٦).

٣٨ - رمضان والنخلة!

سيد الطعام على موائد رمضان هو التمر، تطبيقاً لكلمة نبوية نطق بها المصطفى ﷺ، أليس قد قال: «إذا أفطر أحدكم فليُفطر على تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فالماء؛ فإنه طهور»^(١). وقد كان ﷺ يُفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسًا حسوات من ماء»^(٢).

ومما لفت نظري في مكة كثرة التمر الذي يؤكل في موائده، وإن الإحصائيات تؤكد أن العدد يتجاوز الملايين! وهذا مثال من الأمثلة على تأثير كلمات النبوة في العالم.

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٦٥٨) وقال: «حديث حسن»، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم.

والرطب: فيه رطوبة زائدة، أما التمر فقد تخلص من كل الرطوبات، وقد قيل: إن جيد الرطب هو ما كثر لحاؤه، ورق سحاؤه، وصغر نواه؛ غريب الحديث للخطابي (٥٢٦/٢).

التمر من ثمر النخل كالزبيب من العنب، وهو اليابس بإجماع أهل اللغة؛ لأنه يترك على النخل بعد إرطابه حتى يجف أو يقارب ثم يقطع ويترك في الشمس حتى يبس. انظر المصباح المنير للفيومي (ص ٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود، في سننه (٢٣٥٨) والترمذي في جامعه (٦٩٦) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

فما أكرمك على ربك أيها الصائم عندما خلق لك أفضل شجرة هي النخلة لتتغذى بثمرها عند إفطارك، وهذا من رحمة الله تعالى بك، تعويضاً وجبراً لضعفك بسبب ساعات الصيام في النهار، وساعات القيام في الليل. وكان الله تعالى قد جعل من وظائف هذه النخلة الجميلة المباركة غذاء الصائمين في رمضان!

وكان بين النخلة ورمضان علاقة وثيقة، فالنخلة عطاء بلا حدود، وكذلك رمضان عطاء بلا حدود! ومن أعظم عطاءاته: نزول القرآن الكريم فيه.

والنخلة هي الشجرة المثلى في عطائها، واستقامتها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجودها على الدوام. وثمرها كما قال ابن القيم: «من أكثر الثمار تغذية للبدن، .. وهو فاكهة، وغذاء، ودواء، وشراب وحلوى»^(١).

ما أجمل هذه النخلة المباركة؛ فهي باسقة في علياء السماء. وأما ثمرها فقد نضد تنضيداً، وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]. أعدّها الله للمؤمنين الصائمين.

وقديماً أنشد المعري:

شربنا ماء دجلة خير ماء وزرنا أشرف الشجر النخلا

فكيف إذا كان الماء ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض كما قال

النبي ﷺ^(١)!

وحق لنا أن نقول:

شربنا ماء زمزم خير ماء وزرنا أشرف الخلق الرسولا

٣٩ - مكة المكرمة والقرآن!

لقد شهدت مكة أعظم حدث في تاريخ البشرية وهو نزول القرآن في رمضان، فحق لها أن تحتفل في كل سنة في مثل هذا الشهر، ولعل في قول النبي ﷺ: «عَمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً»^(٢). إشارة إلى هذا المعنى.

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١١١٦٧) عن ابن عباس قال: قال رسول الله

ﷺ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ...». وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٦/٣): «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله

ثقات، وصححه ابن حبان».

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢.

نعم، إنَّ رمضان شهر القرآن، ولكن ما أجمل سماع القرآن في المسجد الحرام حين يرتل بأصوات عذبة، وتلاوات خاشعة!

أن تقرأ القرآن في رمضان فهذا شيء عظيم، فكيف إذا كان ختم القرآن في الصلاة في رحاب البيت العتيق موطن نزوله؟!!

إنَّ صلاة القيام في مكة المكرمة موسم من مواسم الإسلام العظيمة، وعرس من أعراسه! وهذا عمل قديم، وعرف متَّبَع في مكة، قال علي بن المحسن التنوخي: كان يقال: «من محاسن الإسلام يوم الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، ويوم العيد بطرسوس»^(١).

٤٠ - إلاليل المسجد الحرام!

شهدت ليالي رمضان في كثير من المدن والعواصم، لكن ليل مكة له نكهة تميِّزه عن جميع الليالي فيما سواه!

والصلاة في المسجد الحرام لها طعم لا يشعر به إلا من تذوقه، والقيام في المسجد الحرام له نكهة تميِّزه عن القيام في أي بقعة من بقاع الدنيا!

وإذا كان القيام في رمضان في أي بقعة من الأرض له طعم خاص

(١) تاريخ بغداد (١/٣٤٩).

٧٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

يُميّزه عن القيام في كل ليالي السنة، فما بالك عندما يكون هذا القيام في رحاب البيت العتيق في أطهر بقعة من بقاع الأرض!

في كثير من الأماكن التي أمضيت فيها ليلي، كنت أشعر وكأنني أدافعه مدافعة، أحياناً يخف وأحياناً يثقل، إلا ليالي البيت العتيق، فإنك تشعر وكأن ساعاته تمر سريعة، وتضع يدك على قلبك خشية أن تنتهي لحظاته الطيبة وأوقاته المباركة!

٤١ - ما يجري في الحرمين آية من آيات الله في هذا العصر!

ما يجري في الحرمين آية من آيات الله في هذا العصر، ولكن قد غفل عنها الإعلام، وهي صورة من أروع صور العمل التطوعي، ويمكن أن يستفاد من هذه التجربة في إدارة الأزمات والمجاعات.

فهمت في نفسي قائلاً: هذه مساجدنا وتلك معابدهم!

٤٢ - رأيت في رحاب البيت العتيق!

رأيت في رحاب البيت العتيق في رمضان عام (١٤٣٥هـ) المعتمرين وهم يلبسون ملابس الإحرام، فكان مشهداً يبعث في النفس

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ٧١

خشية الله تعالى، فأنت ترى عباده قد أقبلوا عليه ممثلين لأمره، وقد تخلوا عن مظاهر الزينة والترفيه.

ورأيت في رحاب البيت العتيق رجال أعمال قد تركوا تجاراتهم، وأقاموا في تلك الرحاب الطاهرة.. ذلك لأنهم علموا علم اليقين بأن التجارة في هذه المواسم تجارة رابحة لن تبور. ورجبوا في أن يتذوقوا لونا آخر من ألوان النعيم الذي لم يعرفوه من قبل!

ورأيت في رحاب البيت العتيق مسؤولين، وعلماء مرموقين، وشباباً محبتين منيبين إليه راجعين، لم يشغلهم سفه الحياة، ولا جنون الشباب عن عبادة الله في هذه الأيام العظيمة!

ورأيت أسراً منيبة إلى الله تعالى، الزوج والزوجة والأولاد، صغاراً وكباراً، تعلو وجوههم البسمة رغم المشقات، ويظهر على أسارير وجوههم الرضا والغبطة بأن من الله عليهم ليكونوا في تلك البقاع الطاهرة!

ورأيت رجالاً فقراء قد أضناهم الفقر، وأرهقتهم مطالب الحياة، ومع ذلك أبوا إلا أن يكونوا مع القائمين بنفوس رضية، وتوكل جميل!

ورأيت رجال الأمن يقومون بدور مشهود، وأثر محمود في توفير الأمن المطلوب للصائمين والقائمين فجزاهم الله خير الجزاء، ورأيتهم يفطرون مع الناس عندما يفطرون.

وحدثني أحد المكيين الثقات، وشاهدت ذلك بعيني أن الأماكن في تلك الرحاب الطاهرة تحجز قبل ساعات من الغروب، ولكل سابق منطقته، فلا يسمح لأحد أن يتجاوز، إنها معركة الحدود في رحاب البيت العتيق!، ولكن ليس من أجل الدنيا، وإنما من أجل إفتار الصائمين، فما أكرمكم يا أهل مكة وأنتم تخوضون معركة الحدود ابتغاء المثوبة من الله! وليت المسلمين يقتدون بأهل مكة في مثل هذه المعركة الحدودية من أجل نشر الخير، وبذل الإحسان، لا من أجل التوسع في الدنيا بدافع الضغائن والأحقاد!

وحدثني أحد الأصدقاء من مكة أن عدداً من الأطباء والمهندسين الباكستانيين يفرغون أوقاتاً من حياتهم الوظيفية للعمل في نظافة الحرمين الشريفين، ونيل شرف خدمة المعتمرين لاسيما في رمضان، أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

٤٣ - رمضان موسم الجود والعطاء!

أليس قد «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

٤٤ - تأثير كلمات النبوة في العالم من خلال رمضان والعيد!

هناك كلمات نبوية تحتوي على توجيهات في رمضان، وكان لها تأثير عظيم في نفوس المسلمين، من حيث التطبيق والعمل، ومن ذلك:

- ١ - قراءة القرآن فيه.
- ٢ - قيام رمضان.
- ٣ - عمرة في رمضان.
- ٤ - الإفطار على الرطب، أو التمر، أو الماء.
- ٥ - الجود في رمضان.
- ٦ - زكاة الفطر.
- ٧ - من فطر صائماً فله مثل أجره.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصيام، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان (١٩٠٢) ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٢٣٠٨).

٨- الاعتكاف، لاسيما في العشر الأخير فيه.

٩- قيام ليلة القدر.

١٠- عيد الفطر، والأعداد الغفيرة من المسلمين في العالم التي تحتفل به، وتؤدي الصلاة فيه، وما يكون فيه من لباس جميل، وتطيب، وتزاور، وتكبير.

إن كل مفردة من هذه المفردات التي ورد التوجيه إليها في السنة النبوية لها تأثير عظيم في العالم، وإنما ذكرت نماذج من ذلك مما رأيته واضحاً للتدليل على هذه الفكرة، وكان ظاهراً في الحياة، ويمكن أن يخضع للإحصاء. وإنَّ إظهار هذا الجانب له أثر عظيم في زيادة اليقين في قلب المسلم، وله أثر في إشعال جذوة حب النبي ﷺ في قلبه، ونحمد الله تعالى أن جعلنا من أمته.

٤٥- رمضان موسم من مواسم العلم!

عن أوس بن حذيفة قال: كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، أَنْزَلْنَا فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ الْإِنَابِينَ بِيُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَنْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَلَا يَبْرَحُ يُحَدِّثُنَا وَيَشْتَكِي قُرَيْشًا، وَيَشْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا سَوَاءَ، كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَدَلِّينَ أَوْ مُسْتَضْعَفِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا»،

فَمَكَثَ عَنَّا لَيْلَةً لَمْ يَأْتِنَا حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ. قَالَ:
قُلْنَا: مَا أَمَكَّتْكَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ،
فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ».

فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا؟ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ
تُحَزَّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزَّبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ، وَخَمْسَ سُورٍ، وَسَبْعَ سُورٍ،
وَتِسْعَ سُورٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبُ الْمُفْصَلِ
مِنْ قِ حَتَّى تَخْتِمَ» (١).

وفي هذا الحديث فوائد متعددة، منها:

١ - مشروعية التذاكر بالسيرة النبوية، والاطلاع على حياة النبي

ﷺ في ليالي رمضان، كما يؤخذ من ذلك إقامة مواسم علمية في لياليه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٨/٢٦) (١٦١٦٦) واللفظ له، أبو داود، كتاب
التطوع، باب تحزيب القرآن (١٣٩٣) وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار
(ص: ٣٢٧): «وإسناده حسن».

وقوله «يحزبون» الحزب: ما يجعله الإنسان على نفسه من قراءة أو صلاة. وقوله:
«حتى يراوح بين رجليه» أي: يعتمد على إحديهما مرة، وعلى الأخرى مرة. وقوله:
«لا سواء» معناه: لا نحن سواء، فحذف المبتدأ، والمعنى حالنا الآن غير ما كانت
عليه قبل الهجرة، ألا ترى إلى قوله: «كنا مستضعفين مستذلين بمكة؟». انظر شرح
أبي داود لليعني (٢٩٨/٥).

٢ - اتخاذ المسلم لنفسه ورداً من قراءة وصلاة يحافظ عليه ولا يتركه.

٣ - ويفيد هذا الحديث أن القرآن كان مرتباً في عهد النبي ﷺ كما قال ابن حجر، إذ لو كان غير مرتب لما استطاعوا تحزيبه بالطريقة المذكورة هنا.

٤٦ - من مظاهر التهيؤ والاستعداد لشهر رمضان المبارك!

التهيؤ لشهر رمضان له مظاهر متعددة، منها:

أولاً: في شهر رجب الفرد، وهو من الأشهر الحرم، وهو مفتاح الخير والبركة والفضل، يدل على ذلك ما جاء عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا دخل رجب قال: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبارك لنا في رمضان»، وكان يقول: «ليلة الجمعة غراء، ويومها أزهراً»^(١).

قال ابن رجب: «فيه دليل على ندب الدعاء بالبقاء إلى الأزمان

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٩/١) ولكن من زوائد ابنه عبد الله على المسند، وقال النووي في الأذكار (ص ٢٧٤): «وروي في حلية الأولياء بإسناد فيه ضعف، وذكر حديث أنس السابق». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٤): «رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام وقد وثق».

الفاضلة لإدراك الأعمال الصالحة فيها؛ فإن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً»^(١).

فهذا الدعاء في هذا الشهر: فيه الاستعداد لأعظم مواسم السنة، وأفخم أعراسها المباركة؛ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وقد جاء عن عدد من علماء السلف ما يشير إلى ذلك:

قال أبو بكر الورّاق: «شهر رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر حصاد الزرع». وقال: «شهر رجب مثل الريح، وشهر شعبان مثل الغيم، وشهر رمضان مثل المطر». وقال بعضهم: «أيام السنة مثل الشجرة، ورجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها».

ثانياً: في شهر شعبان، وليلة النصف منه ليلة مباركة، وقد ثبت فضلها بأحاديث وآثار وعمل السلف والخلف؛ ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنتين: مشاحن، وقاتل نفس»^(٢).

(١) لطائف المعارف (ص ١٢١) وانظر فيض القدير للمناوي (١٣١/٥).

(٢) أخرجه أحمد مسنده (٢١٦/١١) (٦٦٤٢) وقال الشيخ شعيب: «حديث صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة، وحيي بن عبد الله. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٥/٨، وقال: «رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو لين الحديث، وبقية رجاله وثقوا».

قال ابن رجب الحنبلي: «وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر، وغيرهم يعظمونها، ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها»^(١).

وقال أيضاً: «وأما صيام يوم النصف منه فغير منهي عنه فإنه من جملة أيام البيض الغر المندوب إلى صيامها من كل شهر، وقد ورد الأمر بصيامه من شعبان بخصوصه ففي سنن ابن ماجه بإسناد ضعيف عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقومُوا لَيْلَهَا، وَصومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِعُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فيَقُولُ: أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ،

= وله شاهد من حديث عائشة، أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٨/٦).

وآخر من حديث معاذ بن جبل عند ابن حبان (٥٦٦٥).

وثالث من حديث أبي موسى الأشعري عند ابن ماجه (١٣٩٠).

ورابع من حديث أبي بكر عند البزار (٢٠٤٥)، وابن خزيمة في التوحيد، ص ١٣٦.

وخامس من حديث أبي ثعلبة الخشني عند ابن أبي عاصم في السنة (٥١١).

وسادس من حديث أبي هريرة عند البزار (٢٠٤٦).

وسابع من حديث عوف بن مالك عند البزار (٢٠٤٨). وعندهم جميعاً لفظ:

«مشارك» بدل: «قاتل نفس» الذي تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن عمرو.

وهذه الشواهد وإن كان في إسناد كل منها مقال إلا أنه بمجموعها يصح

الحديث ويقوى.

(١) لطائف المعارف (ص ١٣٧).

أَلَا مُبْتَلَى فُاعَافِيَهُ، أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(١). ولعل في هذا الفضل الذي جاء في ليلة النصف من شعبان ويومها، استعداداً لشهر رمضان المبارك.

ثالثاً: في السنة كلها، فمن السنة دعاء الضيف لصاحب الطعام^(٢)، بقوله: «وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ»، وهذا تذكير برمضان لتهيأ النفوس له، وحث على إفطار الصائمين: يدل على ذلك ما جاء عن أنس، أو غيره، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْذَنَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، فَقَالَ سَعْدٌ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَلَمْ يُسْمِعِ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَرَدَّ عَلَيْهِ سَعْدٌ ثَلَاثًا، وَلَمْ يُسْمِعْهُ فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا سَلَّمْتَ تَسْلِيمَةً إِلَّا هِيَ بِأُذُنِي، وَلَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أُسْمِعْكَ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُسْتَكْثَرَ مِنْ سَلَامِكَ، وَمِنَ الْبَرَكَةِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْبَيْتَ فَقَرَّبَ لَهُ زَبِيًّا، فَأَكَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «أَكَلْ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَأَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان (١٣٨٨).

(٢) انظر شرح السنة للبغوي (١١/٣٤٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/٣٩٧) (١٢٤٠٦) والضياء في المختارة (١٧٨٣) من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، بهذا الإسناد. وهو في مصنف عبد الرزاق =

٤٧ - الصيام: نظام غذائي متميز!

الصيام نظام غذائي متميز، فقد حددت للصائم وجبتان في الليل فقط، تعويضاً عن وجبتي النهار في غير أيام الصيام. ونجد تشديداً على التزام التوقيت فيهما:

الأولى: السحور، وتكون قبل الفجر، قال عليه الصلاة والسلام: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكََةً»^(١). وسماه الغداء المبارك، عن العرياض ابن سارية قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يدعُو إلى السُّحُورِ في شهرِ رَمَضانَ، فقال: «هَلُمُّوا إلى الغداء المبارك»^(٢). ويسن فيها التأخير.

= (٧٩٠٧) و(١٩٤٢٥)، ومن طريقه أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده (٣٨٥٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور (١٩٢٣) ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور، (١٠٩٨) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧١/٢٨) (١٧١٤٣) وأبو داود، كتاب الصيام: باب من سمى السحور الغداء، (٢٣٤٤) والنسائي كتاب الصيام، باب دعوة السحور

(٢١٦٣)، وابن خزيمة في صحيحه، (١٩٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٤/٨)

قال الخطابي في معالم السنن (٢١٠٤): «إنما سماه غداءً؛ لأن الصائم يتقوى به على صيام النهار، فكأنه قد تغدى». والسحور بفتح السين: اسم ما يؤكل في

وقت السحر، والفظور كذلك ما يفطر به.

والثانية: الفطور، وتكون بعد المغرب، ويسن فيها التعجيل، قال

رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ» (١).

ومن هديه ﷺ في الإفطار: أن يكون على شيء خفيف لا يثقل

المعدة، ولا يعمل على اضطرابها بأكل الدسم، أو الطعام الكثير، يقول

عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ

فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ» (٢). والإفطار على الرطب، أو التمر، أو

الماء، أو اللبن، يعدّ مبدءاً عظيماً في الطّب، وأصلاً كبيراً في حفظ الصحة

وسلامة البدن (٣).

بل حثّ النبي ﷺ على تعجيله، وأن يقَدِّم حتى على الصلاة، يدل

على ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَضَعَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار (١٩٥٧) ومسلم، كتاب

الصيام، باب فضل السحور وتأکید استحبابه.. (١٠٩٥) عن سهل بن سعد

رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه (٢٣٥٥) والترمذي

في جامعه، كتاب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار (٦٩٥) وقال:

«هذا حديث حسن صحيح».

(٣) وللتوسع ينظر كتاب: الغذاء في القرآن الكريم، لمعز الإسلام فارس ص

(٢٥٣-٣٠٣).

العشاء، وأُقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء»، ولفظ مسلم: «إِذَا قُرِبَ الْعِشَاءُ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فابْدُؤُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عَنْ عِشَائِكُمْ»^(١). ولفظ حديث ابن عمر عند مسلم: «إِذَا وُضِعَ عِشَاءُ أَحَدِكُمْ، وَأُقيمتِ الصَّلَاةُ، فابْدُؤُوا بِالْعِشَاءِ، وَلَا يَعْجَلَنَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ»^(٢).

قال ابن رجب: «فهذه الأحاديث كلها تدل على أنه إذا أقيمت الصلاة، وحضر العشاء فإنه يبدأ بالعشاء، سواء كان قد أكل منه شيئاً أو لا، وأنه لا يقوم حتى يقضي حاجته من عشاءه، ويفرغ منه»^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشاءه (٥٤٦٢) ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهية الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال (٥٥٧) (٦٤) (٦٦).

ولفظ البخاري في حديث أنس: إذا وضع، ولفظ مسلم: إذا حضر. والفرق بين اللفظين: أن الحضور أعم من الوضع فيحمل قوله: حضر، أي: بين يديه، ويؤيده حديث أنس عند مسلم: «إِذَا قُرِبَ الْعِشَاءُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَنْطِ الْحَكْمُ بِمَا إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءَ لَكِنَّهُ لَمْ يَقْرَبِ لِلْأَكْلِ..».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة (٦٧٣) ومسلم، المساجد، باب كراهية الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال (٥٥٩).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٩٨/٦) وهل الأمر في قوله: فابدؤوا بالعشاء: للندب أم للوجوب؟ الجمهور على أنه للندب؛ بدليل حديث الزهري، عن ابن أمية، =

وهل الأمر خاص بصلاة المغرب، أم يعم كل الصلوات؟ خلاف بين الفقهاء، ومنهم مَنْ حمّله على العموم؛ نظراً إلى العلة، وهي التشويش المفضي إلى ترك الخشوع، لا بالنظر إلى اللفظ الوارد، وذكر المغرب لا يقتضي حصراً فيها؛ لأن الجائع غير الصائم قد يكون أشوق إلى الأكل من الصائم، وهو الأولى كما قال القسطلاني^(١).

= عن أبيه؛ أنه رأى رسول الله ﷺ يَحْتَزُّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فِي يَدِهِ، فَدُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَلْقَاهَا وَالسَّكِينِ الَّتِي كَانَ يَحْتَزُّ بِهَا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ» أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشاءه (٥٤٦٢) وقيل: للوجوب، وبه قالت الظاهرية، وأفرط ابن حزم فقال: «تبطل الصلاة»، وللتفصيل في هذه المسألة الفقهية ينظر: المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي (٥٣٦/٧) وفتح الباري لابن حجر (١٦٠/٢) وعمدة القاري للعيّني (١٩٧/٥)، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر، (٥٤٦٤): «أَنَّهُ تَعَشَّى مَرَّةً، وَهُوَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ».

(١) قال ابن دقيق العيد: «الألف واللام في الصلاة لا ينبغي أن تحمل على الاستغراق، ولا على تعريف الماهية، بل ينبغي أن تحمل على المغرب؛ لقوله: «فابدؤوا بالعشاء» وبترجح حمّله على المغرب؛ لقوله في الرواية الأخرى: «فابدؤوا به قبل أن تصلوا المغرب» والحديث يفسر بعضه بعضاً. وفي رواية صحيحة: «إذا وضع العشاء وأحدكم صائم». انظر فتح الباري لابن حجر (١٦٠/٢) وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٠/٢).

وفي هذا التوجيه النبوي عدة فوائد، منها: كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع. ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع.. (١).

ومنها: الإشارة إلى مخاطر النوم بعد الأكل مباشرة، ومن ذلك: حالات الذبحة القلبية التي تأتي غالباً بعد أكلة دسمة، ثم النوم بعدها، كما ذكر الأطباء.

٤٨ - رمضان وفصول الطبيعة!

هذا على الحقيقة ليس شهراً من الأشهر.. بل هو فصلٌ نفسانيٌّ كفصول الطبيعة في دورانها، ولهُوَ والله أشبهُ بفصل الشتاء.. في حلوله على الدنيا بالجوّ الذي من طبيعته السحب والغيث. ومن عمله إمداد الحياة بوسائل لها ما بعدها إلى آخر السنة.

ومن رياضته أن يكسبها الصلابة والانكماش والخفة.

ومن غايته إعداد الطبيعة للتفتح عن جمال باطنها في الربيع الذي

يتلوه (٢).

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص: ٥١٨).

(٢) كتاب وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي (٢/٦٠).

٤٩ - الصيام أفضل علاج للنفس الأمارة!

إنَّ نشوة المعاصي في نفس فاعلها، وفي تصرُّفاته، كنشوة الخمر! وزيادتها أو نقصانها بحسب عظم الذنب المرتكب.

ولكن سرعان ما تنطفئ تاركة في نفس مرتكبها الضنك والضيق والحسرة والندامة، وهي عقوبات منزللة للحياة والأحياء! وصدق الله تعالى القائل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

والصيام أفضل علاج لنشوة المعاصي، وفوران الشهوات، وخواطر النفس الأمارة، يدل على ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبَنَّ وَحَرَ الصَّدْرِ»^(١).

وقوله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٢).

(١) رواه أحمد (١٦٨/٣٨) (٢٣٠٧٠)، والطبراني في الكبير (٨٩٨٤) إلا أنه قال: ثنا رجل من عكل. ورجال أحمد رجال الصحيح. ورواه البزار (٦٨٨) عن علي، ورجاله رجال الصحيح.

ومعنى «وحر الصدر»: غشُّه ووساوسُه. انظر: النهاية لابن الأثير، مادة: وحر.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في =

وقال رسول الله ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١). وإنما خصَّه الله تعالى بأنه له، لأمرين:

أحدهما: أنَّ الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات. الثاني: أنَّ الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له؛ فلذلك صار مختصاً به، وما سواه من العبادات ظاهر، وربما فعله تصنعاً ورياء.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي: «واعلم أنَّ المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمَنْ جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما وصبر عليهما ووفَّى أجره بغير حساب»^(٢).

= النكاح (٥٠٦٥)، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، ووجد مؤنَّه، واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم (١٤٠٠).
ومعنى الوجاء: أن ترض أنثيا الفحل رضا شديداً يذهب شهوة الجماع، ويتنزل في قطعه منزلة الخصي. وقد وجى وجاء فهو موجوء. أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء. انظر: النهاية لابن الأثير، مادة: وجأ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك (٥٩٢٧).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٣٦٠).

وصدق مَنْ قال: رمضان يرمض الذنوب، ويحرقها بالأعمال

الصالحة!

٥٠ - تصفد الشياطين في شهر رمضان!

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»^(١). وفي رواية: (سُئِلَتْ)^(٢). وفي رواية عند الترمذي وابن خزيمة: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ»^(٣).

ولكن ما المراد بالتصفيد؟ هو إما على الحقيقة ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين، أو ليمتنع مسترقو السمع منهم خاصة. وإما على المجاز،

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانَ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» بدون زيادة، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعاً (١٨٩٨)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان (١٠٧٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على الزهري فيه (٢١٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان (٦٨٢)،

وابن خزيمة بلفظ: «صفدت الشياطين مردة الجن»، كتاب الصيام، باب ذكر

بيان أن النبي ﷺ إنما أردنا بقوله: «وصفدت الشياطين» مردة الجن منهم، لا

جميع الشياطين (١٨٨٣).

ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، لانكفاف الناس عن المخالفات، وقلّة إغواء الشياطين فيصيرون كالمصنفدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء.

قال القرطبي بعد أن رجّح حملة على ظاهره: «فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شرٌّ؟ فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تُغَلُّ عن الصائمين الصوم الذي حُوِّظ على شروطه، ورُوعيت آدابه، أما ما لم يحافظ عليه فلا يُغَلُّ عن فاعله الشياطين.

الثاني: أنا لو سلمنا أنها صُفِّدت عن كل صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين، أن لا يقع شرٌّ؛ لأنَّ لوقوع الشر أسبابًا آخر غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبار عن غالب الشياطين، والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد. والمقصود: تقليل الشرور والفواحش. وهذا موجود في شهر رمضان؛ لأنَّ وقوع الشرور والفواحش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور»^(١).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٩/١٠٤).

٥١ - همم عالية!

قال ابن القيم: «لو كانت ليلة القدر بالسنة ليلة واحدة: لقلت السنة حتى أدركها، فما بالك بعشر ليال؟!»^(١).

وصدق من قال: «هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب. سعى سمسارُ المواعظ للمهجورين في الصلح. وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، وللمستوجبين النار بالعتق.

• لَمَّا سُلِّسَ الشَّيْطَانُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الشَّهَوَاتِ بِالصَّيَامِ، انْعَزَلَ سُلْطَانُ الْهَوَى، وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ لِحَاكِمِ الْعَقْلِ بِالْعَدْلِ، فَلَمْ يَبْقَ لِلْمَعَاصِي عُدْرٌ.

- يَا غُيُومَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْقُلُوبِ تَقْشَعِي.
- يَا شُمُوسَ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ اطْلَعِي.
- يَا صَحَائِفَ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ ارْتَفَعِي.
- يَا قُلُوبَ الصَّائِمِينَ اخْشَعِي.
- يَا أَقْدَامَ الْمُجْتَهِدِينَ اسْجُدِي لِرَبِّكَ وَارْكَعِي.
- يَا عَيُونَ الْمُتَهَجِّدِينَ لَا تَهْجَعِي.

(١) بدائع الفوائد (١/٥٥).

يا ذنوبَ التائبين لا ترجعي.

يا أرضَ الهوى ابلعي ماءك، ويا سماءَ النفوسِ أقلعي.

يا بروقَ الأشواقِ للعشاقِ المعِي.

يا خواطرَ العارفينِ ارتعي.

يا هَمَمَ المحبِّينِ بغيرِ الله لا تقنعي.

• قد مُدَّتْ في هذه الأيامِ موائدُ الإنعامِ للصُّومِ، فما مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ

دُعِيَ ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

ويا هَمَمَ المؤمنينِ أسرعِ، فطوبى لمن أجابَ فأصاب، وويلٌ لمن

طُرِدَ عن البابِ وما دُعِيَ»^(١)!

٥٢ - مهلاً رمضان!

من جميل ما قالوا: ترفق يا رمضان.. فما زالت القلوب قاسية!

والأرواح عطشى! بالأمس كنا نقول: رمضان أهلاً. والآن نقول: رمضان

مهلاً!

ما أسرع خطاك، تأتي على شوق، وتمضي على عجل! فسبحان

من وصفك بـ ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) لطائف المعارف (ص ٣٠٣).

فأحسنوا إلى رمضان، إنّه زائرٌ خفيف الظلّ، كثير الهدايا، سريع

الارتحال!

يا رب تقبّل منا ما مضى، وأعنا على ما بقي!

قال ابن رجب: «مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ، وَمَنْ حُرِمَ

خَيْرِهِ فَهُوَ الْمَحْرُومُ، وَمَنْ لَمْ يَتَزَوَّدْ لِمَعَادِهِ فِيهِ فَهُوَ مَلُومٌ»^(١).

وجاء في كتاب لطائف المعارف: «كيف لا تجري للمؤمن على

فراق رمضان دموعٌ، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع!!؟

تذكرتُ أياماً مضت وليالياً خلت فجرت من ذكرهن دموعُ

ألا هل لها يوماً من الدهر عودة وهل لي إلى يوم الوصال رجوعُ

وهل بعد إعراض الحبيب تواصلٌ وهل لبدورٍ قد أفلن طلوعُ

أين حرق المجتهدين في نهاره؟ أين قلق المجتهدين في

أسحاره؟

اسمِعْ أَيْنَ الْعَاشِقِينَ إِذَا اسْتَطَعَتْ لَهُ سَمَاعَا

رَاحَ الْحَبِيبِ فَشِيعَتُهُ مَدَامَعِي تَهْمِي سَرَاعَا

لَوْ كُفِّفَ الْجِبْلُ الْأَصْمُ فِرَاقِ الْإِفِّ مَا اسْتَطَاعَا

(١) لطائف المعارف (ص ١٤٨):

إذا كان هذا جزع من ربح فيه، فكيف حال من خسر في أيامه
وليليه؟

ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟

كم نصح المسكين فما قبل النصح!

كم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح!

كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد!

كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد حتى إذا ضاق به الوقت
وخاف المقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم وطلب الاستدراك
في وقت العدم.

أترك من تحب وأنت جارٌ وتطلبهم وقد بعد المزارُ
وتبكي بعد نأيهم اشتياقا وتساءل في المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديارُ
فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدافليس لك اعتذار^(١)



٥٣ - يا راحلاً!

من جميل ما قالوا في رحيل رمضان:

يا راحلاً قبل الأجل	لِمَ الرَّحِيلُ عَلَى عَجَلٍ؟
دمعُ اللقاءِ كما ترى	يروي الخُدودَ ولم يزلْ
يا راحلاً: حينَ الوداعِ	صدري تقادحَ فاشتعلْ
تلكَ الصّفوفُ ستشتكي	راحَ القيامُ فما العملُ؟
أمّا القلوبُ أصابها	ألمٌ على منْ قد غفلْ
يا راحلاً قف لحظةً	ندعو الإلهَ فمنْ سألْ
يحيا الحياةَ كزاهدٍ	ما غرّه طولُ الأملِ
شدّ الجميعُ رحاله	عن ذي المساجدِ وانشغلْ
كلٌ سيلقى ربّه	يومَ الحسابِ بما فعلْ
منْ صامَ كانَ ثوابه	ريّانَ يدخُلُ في عَجَلْ
أما الذي تركَ الصّيامَ	وعنِ القيامِ كذا غفلْ
فالوعدُ عندَ اللهِ في	يومِ القيامةِ إذْ عدلْ
رمضانُ رُحْتَ مُودِعاً	فاللهُ ندعوفِ وجلْ
اغفرْ جميعَ ذُنوبنا	يا ذا الجلالِ معَ الأهلِ
واعتقْ كذاك رقابنا	فالنارُ لا لا تُحتملُ (١)

(١) هذه القصيدة للشاعر يوسف نور، كما في موقع الصومعة الأدبي الإلكتروني.

٥٤ - أيها الضيف تمهل..!

بعد أيام: ستنطفئ المصابيح.. وتنقطع التراويح.. ونرجع إلى العادة..

ونفارق شهر العبادة.. ويذهب أهل الاجتهاد بأجر اجتهادهم في رمضان..

وقد قالوا:

أيها الضيف تمهل.. كيف ترحل
والحنايا مثقلات والمطايا تترجل..؟! كيف ترحل؟
هل عتقنا؟! أم بقينا في المعاصي نتكبل؟
أيها الشهر تمهل..

خذ فؤادي حيث سرت فحنيني يتنقل!
أي فوز غير فوزك.. والأمانى حين نقبل^(١)!



٥٥ - ليلة القدر

بين التحري والاجتهاد!

في رمضان من كل عام يكثر السؤال عن تعيين ليلة القدر، وهي ظاهرة صحية؛ لأن الأجر الوارد فيها عظيم! وهو مغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة!

وحسبنا قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٣-٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). وفي رواية: «وما تأخر»^(٢).

وهكذا يطهر القائم من الذنوب، ويرجع كيوم ولدته أمه! ومن منا لا يرغب بهذا الأجر العظيم، وهذه الصلة المباركة؟

ولهذا كان الصحابة الكرام يسألون، ويتحرون هذه الليلة المباركة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية (١٩٠١) ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٦/٣٧) (٢٢٧٤١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وهذا دليل على أن ليلة القدر لا تدرك فضائلها إلا بالتحري والاجتهاد والتأهب والاستعداد. وقد قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عُيِّنَتْ لها ليلة لاقتصر عليها.

وكنْتُ تساءلتُ في نفسي: هل مِنْ سببٍ آخر دفع الصحابة أن يسألوا، وأن يتحروا؟

وبعد البحث ظهر لي أن ارتباطهم بعمل، أو ضعف، أو مرض، أو غير ذلك من الأعذار كانت تمنعهم من قيام ليالي العشر كلها، والاجتهاد فيها، يدلُّ على ذلك ما جاء عن عبد الله بن أنيس الجهني أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني صاحب بادية وماشية، فأوصني بليلة القدر أقوم فيها، فقال النبي ﷺ: «أَوْ لَيْلَتَيْنِ؟» قال: بل ليلة، فدعاه فسارّه لا يدري أحد ما أمره، فقال الناس: انظروا الليلة التي يقوم فيها الجهني. فكان إذا كان ليلة ثلاث وعشرين نزل بأهله، وقام تلك الليلة^(١).

وفي رواية: قال: يا رسول الله، إني رجل شاسع الدار، فمُرني بليلة

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ليلة القدر (٤/٢٤٩)

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ٩٧

أنزل لها، فقال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ»^(١).

ولهذا كانوا يسألون عن تعيينها ليدركوها يقيناً.

والأمن قام العشر أدرك ليلة القدر، ومن قام رمضان أدركها يقيناً؛

لأن الأجر المرتب على قيامها حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم، على قول كثير من أهل العلم.

ولكن قد يقول قائل: فما معنى الموافقة في حديث عائشة رضي الله

عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟

قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(٢).

والجواب: أن الموافقة كما ظهر لي من أقوال أهل العلم على

نوعين:

موافقة عامة: بأن يكون الواقع أن تلك الليلة التي قام فيها بقصد

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر

(١/٣٢٠) (١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب ليلة القدر

(٤/٢٥٠) (٧٦٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٦٣) (٣٤٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ٩٠، (٣٥١٣) واللفظ له، وقال:

«حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية

(٣٨٥٠).

ليلة القدر هي ليلة القدر في نفس الأمر، وإن لم يعلم بها.

وهذا ما ذهب إليه كثيرٌ من العلماء، منهم: الطبري، وابن عبد البر، وابن العربي وغيرهم. وموافقة خاصة: أن يعلم أنها ليلة القدر، بعلامةٍ، أو رؤيا، أو غير ذلك من العلامات. وإلى هذا ذهب فريقٌ من العلماء^(١).

قال ابن تيمية: «وقد يكشفها الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة، فيرى أنوارها، أو يرى مَنْ يقول له هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبين به الأمر»^(٢).

وقال النووي: «فإنها تُرى، ويتحققها مَنْ شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان، كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث، وأخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، وأما قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صفرة: «لا يمكن رؤيتها حقيقة»، فغلط فاحش، نبّهت عليه، لئلا يُغتر به»^(٣).

وعلامة من وفق لها، ووافقها أن لياليه كلها تصبح كليلة القدر في الصلوة مع الله تعالى، والأنس به، والتلذذ بطاعته، والاستقامة عليها!

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (٤/٢٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٨٦).

(٣) المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج (ص: ٨٧٩).

وصدق من قال:

فسائرُ أيامي لديكم مواسمٌ وكلُّ الليالي عندكم ليلةُ القدرِ

ومن قال:

فأيامي الأعيادُ في بابِ عزِّكم وكلُّ الليالي عندكم ليلةُ القدرِ

٥٦ - ليلة القدر، هل هي ثابتة أم تنتقل؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنها في العشر الأخير من رمضان. ولهذا «كان

رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد متزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»^(١).

وفي رواية: «كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^(٢).

وكان ﷺ يقول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ

رَمَضَانَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من

رمضان (٢٠٢٤) ومسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر

من شهر رمضان (١١٧٤) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر

رمضان (١١٧٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من =

١٠٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

ويؤيد كونها في العشر الأخير حديثُ أبي سعيد الصحيح أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ لما اعتكف العشر الأوسط: «إن الذي تطلب أمامك»^(١).

وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأخير في طلب ليلة القدر. واعتكف أزواجه بعده، وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع، لقول النبي ﷺ: «تَحَرُّوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ، مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٢).

وهي في السبع الأواخر أقرب، لقول النبي ﷺ: «التَّمَسُّوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ، فَلَا يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي»^(٣).

= العشر الأواخر (٢٠٢٠)، ومسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان (١١٦٩).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف والسجود على الطين (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠١٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان (١١٦٥).

وأقرب السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين؛ لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال في ليلة القدر: «والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ»، وقال: «تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» يعني: ليلة القدر^(٢).

وقال قوم: هي ليلة الحادي والعشرين. ومال إليه الشافعي رضي الله عنه.

وقيل: ليلة الثالث والعشرين: لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «أُرِيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٦/٨) (٤٨٠٨) واللفظ له، والطياصي في مسنده (٤٠٦/٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان (١١٦٨).

قال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: فرأيت في صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين، كما أخبر رسول الله ﷺ.

وعن عبد الله بن عبد الله الجهني رضي الله عنه قال: جلس معنا عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله ﷺ في مجلس جهينة في رمضان، قال: فقلنا له: يا أبا يحيى هل سمعت من رسول الله ﷺ في هذه الليلة المباركة من شيء؟ فقال: نعم، جلسنا مع رسول الله ﷺ في آخر هذا الشهر؛ فقلنا له: يا رسول الله متى نلتمس هذه الليلة المباركة؟ قال: «التَمِسُوهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ» وقال: «وَذَلِكَ مَسَاءَ لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ»^(١).

وقيل: ليلة خمس وعشرين: لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «التَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ: فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٢).

قال مالك في «المدونة»: «فأرى - والله أعلم - أن التاسعة ليلة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٩ / ٢٥) (١٦٠٤٦) واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصيام، باب ذكر الأمر بطلب ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين (٢١٨٥) بلفظ: «التمسوها هذه الليلة، ثلاث وعشرين».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠٢١).

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ١٠٣

إحدى وعشرين، والسابعة ليلة ثلاث وعشرين، والخامسة ليلة خمس وعشرين»^(١).

وهناك أقوال أخرى في تعيينها أو صلها الحافظ ابن حجر إلى ستة وأربعين قولاً!

ثم قال: «وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأواخر، وأنها تنتقل كما يفهم من أحاديث هذا الباب، وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبد الله بن أنيس، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين»^(٢).

٥٧ - من صور الاجتهاد في ليلة القدر عند السلف:

قال سفيان الثوري: «أحبُّ إليَّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجّد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك»^(٣).

وعن سعيد بن المسيب كما في «الموطأ»: «من شهد العشاء من

(١) طرح التريب في شرح التقريب (٤/١٥٦).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/٢٦٦).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (١/١٨٦).

ليلة القدر، فقد أخذ بحظه منها». قال القرطبي: ومثله لا يدرك بالرأي (١).

وعلى المسلم أن يحافظ على صلاتي الفجر والعشاء في جماعة لا سيما في رمضان، وفي العشر الأخير منه ليأخذ حظه من قيام ليلة القدر، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (٢).

٥٨ - أشعار في رمضان!

من الجميل جمع الأشعار التي أنشدت في الصيام، ومن ثم دراستها، ونشرها؛ فإن هذا العمل له أثر في التذكير بهذه الفريضة، والتشويق لها، ومن الأمثلة على ذلك:

إذا لم يكن في السمع مني تَصَوُّنٌ وفي بصري غَضٌّ، وفي منطقي صَمْتُ
فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجَوْعُ وَالظَّمَا وَإِنْ قُلْتُ: إِنِّي صُمْتُ يَوْمًا فَمَا صُمْتُ

وهذا موضوع مهم ينبغي أن ينشط له الباحثون، لا سيما أساتذة اللغة العربية، وطلاب الدراسات العليا.

وما زلت أذكر كيف كان يودع رمضان في الليلة الأخيرة منه في

(١) رقم (٦٩٩) وانظر: تفسير القرطبي (١٣٨/٢٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٦٥٦) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أولاً: خواطر حول الصيام ١٠٥

جامع الفلوجة الكبير (محافظة الأنبار في العراق) في مطالع هذا القرن
(الخامس عشر) أيام دراستنا في المعهد الشرعي. وقد كان لذلك الوداع
بأصوات شجية الأثر الكبير في نفوسنا!

وهذه طاقة من الأشعار عن رمضان:

١ - :

يا غافلاً وليالي الصوم قد ذهبَتْ زادت خطاياك قف بالباب وابكيتها
واغنم بقية هذا الشهر تحظ بها غرسته من ثمار الخير تجنيها

٢ - ومنها:

يا شهر كم لي فيك من إشراقه تطوي الظلام وتنشر الأعراسا
أنت بالتقوى شعاب قلوبنا وسقيت بالأي الكرام غراسا
نفحاتك الغناء رفد سعادة تستنزل الرحمات والإيناسا
ونسائم الأسحار تذهب بالضنى وتهدهد الوجدان مما قاسى
وبكل سانحة مآثر سنة من نور أحمد أشرقت نبراسا

٣ - ومنها:

ترحلت يا شهر الصيام بصومنا وقد كنت أنواراً بكل مكان
لئن فئت أيامك الزهر بغتة فما الحزن من قلبي عليك بفان

عليك سلامُ الله كن شاهداً لنا
سلامٌ من الرحمن كلَّ أوانٍ
سلامٌ على شهر الصيام فإنه
لئن فئت أيامك الغر بغتة
بخيرٍ رعاكَ اللهُ مِنْ رمضانٍ
على خير شهرٍ قد مضى وزمانٍ
أمان من الرحمن كلَّ أمان
فما الحزن من قلبي عليك بفان

٤ - ومنها:

ترحلَّ الشهرُ والهفاه وانصر ما
وأصبح الغافلُ المسكين منكسراً
مَنْ فاته الزرعُ في وقت البذار فما
واختصَّ بالفوز في الجنات مَنْ خدما
مثلي فيا ويحه يا عظيمَ ما حرما
تراه يحصد إلا الهَمَّ والندما

٥ - ومنها:

فيا شهر الصيام فدتك نفسي
فما أدري إذا ما العامُ ولَّى
أتلقاني مع الأحياء حياً
فذلك حال ذي الدنيا دواما
تمهلُ بالرحيل والانتقالِ
وعدتَ بقابل في خير حالِ
أم انك تلقني في اللحد بالي
فراق بعد جمع وارتحال

٦ - ومنها:

ها قدر حلتَ فما عساي أقولُ
عامٌ مضى، غفت القلوبُ وأجدبت
والدمعُ من ألم الفراق يسيلُ؟
هممٌ، وأنكرت الثمارَ حقولُ

أولاً: خواطر حول الصيام _____ ١٠٧

واستفرتنا للمباهج أنفسُ مالت مع الأهواء حيث تميلُ
فلك التحية.. ما أقمت بأرضنا ولك التحية.. ما احتواك رحيلُ

٧- ومنها: يا شهر رمضان ترفق!

بكتِ القلوبُ على وداعك حرقةً كيف العيونُ إذا رحلت ستفعلُ
ها قد رحلت أيا حبيبُ، وعمرنا يمضي ومن يدري أنت ستقبلُ
فعساك ربي قد قبلت صيامنا وعساك كل قيامنا تتقبلُ
بكت المساجدُ تشتكي عمّارها كم قلّ فيها قارئٌ ومُرْتَلُ
إن كان هذا العام أعطى مهلةً هل يا ترى في كل عام يمهلُ؟
لا يستوي من كان يعمل مخلصاً هو والذي في شهره لا يعملُ
رمضانُ لا تمضي وفينا غافلُ ما كان يرجو الله أو يتذللُ
رمضانُ لا أدري أعمرى ينقضي في قادم الأيام أم نتقابلُ!!
فالقلبُ غاية سعيه سيعيشها والعين في لقياك سوف أُكحلُ

٨- ومنها: رمضانُ يا قوم انتصف!

رمضانُ يا قوم انتصفُ فتداركوا ما قد سلفُ
وتزودوا المعادكم قبل الندامة والأسفُ
وتذللوا لإلهكم فالذلُّ للمولى شرفُ

٥٩ - أشعار جميلة في العيد!

١ - تحري رؤية الهلال والاستبشار بظهوره:

قال ابن الرومي:

ولما انقضى شهر الصيام بفضلته
كحاجب شيخ شاب من طول عمره
تجلى هلال العيد من جانب الغرب
يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

وقال ابن المعتز:

أهلاً بفطرٍ قد أضاء هلاله
وانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ
فالآن فاغدُ على الصَّحابِ وبكرٍ
قد أثقلته حمولةٌ من عنبرٍ

٢ - معنى العيد:

قال أبو إسحاق الألبيري:

ما عيدك الفخم إلا يوم يغفر لك
كَمِ مِنْ جَدِيدِ ثِيَابٍ دِينُهُ خَلِقُ
لا أن تجرَّ به مستكبراً حُلَّكَ
بكت عليه السما والأرض حين هلك
وكم مرقع أطمار جديد تقى

وقال د. عبد الحكيم الأنيس:

العيدُ يومَ رجوعنا
لله ربِّ العالمين

وقيامنا بشريعةٍ تَهْدِي إِلَى الْفَوْزِ الْمُبِينِ
 فلنا التهانى عندها بالمجد والعزِ المكينِ
 فاعملْ لذلك يا أخي فالعيد عيدُ العاملينِ
 وادعُ الإلهَ بحرقَةٍ تشوي جميعَ الظالمينِ

وقلت:

عيد سعيد قد أطلَّ بطيبةٍ يافرحتي في هذه الأعيادِ

وقال آخر:

إليك في العيد تكريم بتهنئةٍ ريانة قد علاها الود واشتملا
 مقرونةٌ بدعاءٍ صادقٍ عَطِرٍ تقبَّلَ اللهُ مِنْكَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَا

وقال آخر:

إذا ما العيد وافاني وهزَّ الشوقُ وجداني
 تمنى القلبُ لقياكم فأنتم عيدي الثاني

وقال د. عبد الحكيم الأنيس:

إذا ما العيدُ قد أقبلُ وفاتَ القلبَ ما يأملُ
 رجوتُ اللهَ لقياكم فأنتم عيدي الأولُ

ثانياً:

قصص من أحوال السلف

وأقوالهم عن الصيام

وفيه: أهم أحكام الصيام الفقهية.

١ - هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية!

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين. وقال الحسن بن صالح، سمعنا أنه الصيام^(١). فهي تبشرهم بروعة الجزاء، ومتعة اللقاء!

قال ابن رجب: «فهذا الصائم يُعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب وغيرها من اللذات جزاءً وفاقاً. من صام اليوم عن شهواته، أفطر عليها غداً بعد وفاته. ومن تعجّل ما حرم عليه من لذاته، عُوقب بحرمان نصيبه من الجنة وفواته»^(٢).

٢ - من مظاهر حب الصحابة رضي الله عنهم للصيام:

المظهر الأول: الحرص على الصيام في السفر رغم تضررهم به، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا

(١) حلية الأولياء (٧/٣٣١).

(٢) انظر: لطائف المعارف (١/١٥٨، ٢٩٣).

بقدر من ماء فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقبل له بعد ذلك:
 إن بعض الناس قد صام، فقال: «أُولَئِكَ الْعَصَاةُ، أُولَئِكَ الْعَصَاةُ»^(١).

وقوله: «أُولَئِكَ الْعَصَاةُ» محمول على مَنْ تضرر بالصوم، أو أنهم
 أمروا بالفطر أمراً جازماً لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب، وعلى
 التقديرين لا يكون الصائم اليوم في السفر عاصياً إذا لم يتضرر به.

ويؤيد التأويل الأول قوله في الرواية الثانية: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ
 عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ»^(٢).

وقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه ما يؤيد ذلك، قال: «لقد
 رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم شديد الحر، حتى
 إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما منا أحد صائم، إلا
 رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر
 في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن
 يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر (١١١٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر (١٩٤٥)
 ومسلم، كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر (١١٢٢)
 واللفظ له، وأبو داود، كتاب الصوم، باب من اختار الصيام (٢٤٠٩)، وابن
 ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في الصوم في السفر (١٦٦٣).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١١٥

المظهر الثاني: حرصهم على وصال الصيام: يدل على ذلك ما جاء

عن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال. فقالوا: يا رسول الله! فإنك تواصل؟ فقال: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى» (١).

والنهي عن الوصال يقصد منه سد ذرائع التعمق في باب الصوم، قال الإمام الدهلوي: «من المقاصد المهمة في باب الصوم سد ذرائع التعمق، ورد ما أحدثه فيه المتعمقون، فإن هذه الطاعة كانت شائعة في اليهود، والنصارى، ومتحشي العرب، ولما رأوا أن أصل الصوم هو قهر النفس تعمقوا، وابتدعوا أشياء فيها زيادة القهر، وفي ذلك تحريف دين الله، وهو إما بزيادة الكم أو الكيف.

فمن الكم: قوله ﷺ: «لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ» ونهيه عن صوم يوم الفطر، ويوم الشك؛ وذلك لأنه ليس بين هذه وبين رمضان فصل، فلعله إن أخذ ذلك المتعمقون سنة فيدركه منهم الطبقة الأخرى وهلم جرا يكون تحريفاً، وأصل التعمق أن يؤخذ موضع الاحتياط لازماً، ومنه يوم الشك.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٤٣٠/٣) (٣١٨)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي

عن الوصال في الصوم (١١٠٢).

ومن الكيف: النهي عن الوصال، والترغيب في السحور، والأمر بتأخيره وتقديم الفطر»^(١).

المظهر الثالث: حرصهم عليه، وإكثارهم منه: يدل على ذلك ما جاء عن أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبدلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(٢).

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٨٠) وحديث: «لا يتقدمن ..»، أخرجه البخاري، كتاب

الصوم، باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين (١٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في

التطوع، ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له (١٩٦٨)، وكتاب الأدب، باب

صنع الطعام والتكلف للضيف (٦١٣٩) والتبذل: ترك التزين والتهيئ بالهيئة

الحسنة الجميلة على جهة التواضع. النهاية، مادة: (بذل).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١١٧

وما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتَهُ^(١)، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «القنبي به»، فلقيته بعد، فقال: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قال: كل يوم، قال: «وكَيْفَ تَحْتِمُ؟»، قال: كل ليلة، قال: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أَفْطِرُ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وذاك أني كبرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار، ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه^(٢).

وفي رواية: ثم قال: «لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ».

(١) كَنَّتَهُ: بفتح الكاف وتشديد النون: زوج الولد، قال في النهاية، مادة (كنن):

الْكَنَنُ: امرأة الابن وامرأة الأخ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (٥٠٥٢).

قال: فكان عبد الله، يصوم ذلك الصيام، حتى إذا أدركه السن والضعف، كان يقول: «لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي»^(١).

وما جاء عن ابن أبي مليكة قال: «كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام، فيصبح في اليوم السابع وهو أليثنا»^(٢). أي: أشدهم وأجلدهم، وبه سمي الأسد ليثا.

٣- من مظاهر حب السلف للصيام: سردهم له!

قد وردت آثار كثيرة عن السابقين في علو هممهم، وأخذهم بالعزائم في العبادات، وهم جبال في الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ،^(٣) ومنهم من سرّد الصوم، ومن هؤلاء:

الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١١/٤٦٥، ٤٦٦) (٦٨٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٨) وعلق الذهبي بقوله: «قلت: لعله ما بلغه النهي عن الوصال..».

قلت: أو يقال: لعله فهم أنّ النهي خاص بمن لم يقو على الوصال.

(٣) استفدت هذه الفقرة، والتي بعدها من كتاب: نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، لسيد بن حسين العفاني، (١/١٠٩-١٥٨) باختصار وتصرف.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١١٩

عن ابن عمر: أن عمر سرد الصوم قبل موته بستين (١).

ومنهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن الزبير بن عبد الله، عن جدة له يقال لها رُهَيْمَة قالت: «كان

عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله» (٢).

ومنهم: أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد

رسول الله ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره يفطر إلا يوم

أضحى أو يوم فطر (٣). قال الذهبي: «كان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ» (٤).

ومنهم: عائشة زوج رسول الله ﷺ:

عن عبد الرحمن بن القاسم: أن عائشة كانت تصوم الدهر (٥).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مُصنّفه، كتاب الصيام، باب من رخص في صوم الدهر (٧٩/٣) وانظر صفة الصفوة لابن الجوزي (١٠٧/١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مُصنّفه، كتاب الصيام، باب من رخص في صوم الدهر (٧٩/٣) وانظر: حلية الأولياء (٥٦/١).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٩١/٥).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧/٢).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٤/٨) وانظر سير أعلام النبلاء (١٨٧/٢)،

١٢٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

وعن عروة: أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم. وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر^(١).

ومنهم: التابعي الجليل الأسود بن يزيد النخعي رضي الله عنه (ت: ٧٥هـ):

روى شعبة عن الحكم أن الأسود كان يصوم الدهر. وروى حماد عن إبراهيم، كان الأسود يصوم حتى يسود لسانه من الحر^(٢).

وعن عبد الله بن بشران: علقمة والأسود بن يزيد حجا، وكان الأسود صاحب عبادة، وصام يوماً فكان الناس بالهجير وقد تربد وجهه، فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال: ألا تتقي الله يا أبا عمرو في هذا الجسد؟ علام تعذب هذا الجسد؟ فقال الأسود: يا أبا شبل الجد الجد.

وقال حنش بن حارث: رأيت الأسود وقد ذهب إحدى عينيه من الصوم^(٣).

ومنهم: التابعي الجليل سعيد بن المسيب رضي الله عنه (ت: ٩٤هـ):

(١) صفة الصفة (٣١٩/١). والمعنى: أنها كانت تصوم غير الأيام المنهي عنها:

كالعائدين، وأيام التشريق والحيض.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٥٢، ٥٣).

(٣) حلية الأولياء (٢/١٠٤).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٢١

حدث يزيد بن أبي حازم أن سعيد بن المسيب كان يسرد الصوم^(١).

ومنهم: التابعي الجليل عروة بن الزبير رضي الله عنه (ت: ٩٤هـ):

عن هشام بن عروة أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم^(٢). وعن هشام بن عروة أن أباه كان يسرد الصوم^(٣).

ومنهم: الإمام عالم المدينة وفتيها سليمان بن يسار رضي الله عنه (ت: ١٠٧هـ):

جاء عن أبي الزناد أنه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر. وكان أخوه عطاء يصوم يوماً ويفطر يوماً^(٤).

ومنهم: التابعي الجليل ثابت البناني رضي الله عنه (ت: ١٢٧هـ):

قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٢٢١)، وقال الذهبي: «إسناده ثابت».

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/١٣٨).

(٣) صفة الصفوة (١/٣٥٠).

(٤) صفة الصفوة (١/٣٤٨) وانظر سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٨).

وكان رحمه الله يقول: لا يسمّى عبد أبداً عبداً، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان، الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه.

قال المبارك بن فضالة: دخلت على ثابت البناني في مرضه وهو في علو له، وكان لا يزال يُذكرُ أصحابه فلما دخلنا عليه، قال: يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم، ثم قال: اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة، أو قال: إذ حبستني أن أصلي كما أريد، وأصوم كما أريد، وأذكرك كما أريد، فلا تدعني في الدنيا ساعة، فمات من وقته رحمه الله.

ومنهم: الإمام سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (ت: ١٢٥هـ):

قال شعبة: كان سعد بن إبراهيم يصوم الدهر^(١).

ومنهم: محدث العراق الإمام وكيع بن الجراح رضي الله عنه (ت: ١٩٧هـ):

قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعاً في الحضر والسفر، وكان

(١) حلية الأولياء (٢/٣٢٠) و(٣/١٦٩).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٢٣

يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. قال ابن عمار: كان وكيع يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد.

وقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن، وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

ومنهم: الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم ابن جريج رحمه الله (ت: ١٥٠هـ):

قال أبو عاصم النبيل: كان ابن جريج من العباد كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر^(١).

ومنهم: الإمام شيخ الإسلام ابن أبي ذئب القرشي رحمه الله (ت: ١٥٩هـ):

قال أخوه: كان أخي يصوم يوماً ويفطر يوماً، ثم سرد الصوم، وكان شديد الحال يتعشى الخبز والزيت^(٢).

ومنهم: سيد المحدثين شعبة بن الحجاج رضي الله عنه (ت: ١٦٠هـ):

(١) سير أعلام النبلاء (٦/٣٢٨).

(٢) المصدر السابق (٧/١٤١).

قال عمر بن هارون: كان شعبة يصوم الدهر كله لا يرى عليه (١).

قال أبو قطن: كانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، سخي النفس (٢).

ومنهم: الإمام القدوة شيخ نيسابور أحمد بن حرب رضي الله عنه
(ت: ٢٦٣هـ):

قال زكريا بن حرب: ابتداء أخي بالصوم وهو في الكتاب فلما راهق حجَّ مع أخي الحسين بن حرب، فأقاما بالكوفة للطلب، وبالْبصرة وبغداد، ثم أقبل على العبادة لا يفتر، وأخذ في المواعظ والتذكير، وحثَّ على العبادة، وأقبلوا على مجلسه.

قال محمد بن يحيى: مرَّ أحمد بن حرب بصبيان يلعبون فقال أحدهم: افسحوا فإنَّ هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك، وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات (٣).

ومنهم: الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (ت: ٢٤١هـ):

قال إبراهيم بن هانئ - وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان

(١) حلية الأولياء (٧/١٤٤-١٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٦).

(٣) المصدر السابق (١١/٣٢).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٢٥

تواري عنده-: كان يصوم النهار ويعجل الإفطار...، وما رأيتَه مفطراً إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم»^(١).

وقال ابنه عبد الله: «.. وكان يصوم ويدمن، ثم يفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض، فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات»^(٢).

ومنهم: الإمام، القدوة، بقي بن مخلد رضي الله عنه (ت: ٢٧٦هـ):
قال أبو عبيدة: «كان بقيّ يختم القرآن كل ليلة، في ثلاث عشرة
ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر، وكان كثير الجهاد،
فاضلاً، يُذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة»^(٣).

ومنهم: الإمام عمر بن سعيد الطائي المنبجي رضي الله عنه:
قال عنه ابن حبان: «كان قد صام النهار، وقام الليل ثمانين سنة،
غازياً مرابطاً - رحمة الله عليه -»^(٤).

(١) مناقب الإمام أحمد (١/١٤٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٣).

(٣) المصدر السابق (١٣/٢٩٢).

(٤) المصدر السابق (١٤/٢٩٠).

ومنهم: الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن إبراهيم القزويني، القطان رضي الله عنه (ت: ٣٤٥هـ):

قال عنه جماعة من شيوخ قزوين: أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يفطر على الخبز والملح^(١).

ومنهم: الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث شيخ العراق، عبيد الله ابن محمد العكبري الحنبلي، المعروف بـ«ابن بطة» رضي الله عنه (ت: ٣٧٨هـ):

قال الخطيب: «لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم يُر في سوق ولا رُئي مفطراً إلا في عيد، وكان أماًراً بالمعروف، لم يبلغه خبر منكر إلا غيره»^(٢). وكان مستجاب الدعوة.

ومنهم: الشيخ العالم الزاهد أبي محمد الدوني رضي الله عنه (ت: ٥٠١هـ):

قال السلفي: قال ابنه أبو سعد لي: لو الادي خمسون سنة ما أفطر النهار^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/٤٦٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/٣٧٢)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٥٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٢٤٠).

٤ - مشروعية كثرة العبادة:

فإن قيل فكيف نوفق بين ما ذكرته عن هؤلاء الأئمة، وبين ما جاء عن أنس أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم أصوم فلا أفطر. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (١).

والجواب: ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ أَسْرُدُ الصَّوْمَ، أَفَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ قَالَ: قَالَ: «صِمِ إِنْ شِئْتَ، وَأَفْطِرِ إِنْ شِئْتَ». (٢).

قال النووي: «فيه دلالة لمذهب الشافعي وموافقيه أن صوم الدهر وسرده غير مكروه لمن لا يخاف منه ضرراً، ولا يفوت به حقاً، بشرط فطر يومي العيدين والتشريق؛ لأنه أخبر بسرده ولم ينكر عليه، بل أقره عليه، وأذن له فيه في السفر، ففي الحضر أولى وهذا محمول على أن حمزة بن عمرو

(١) أخرجه النسائي، كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل (٣٢١٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١١٢١) (١٠٤) وأحمد في مسنده (٢٣٠ / ٤٠).

كان يطيق السرد بلا ضرر ولا تفويت حق..، وأما إنكاره ﷺ على ابن عمرو ابن العاص صوم الدهر فلأنه علم ﷺ أنه سيضعف عنه، وهكذا جرى فإنه ضعف في آخر عمره، وكان يقول يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ» (١).

وقال الإمام الشاطبي: «كم من رجل صلى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة، وسرد الصيام كذا وكذا سنة، وكانوا هم العارفين بالسنة، لا يميلون عنها لحظة، وروي عن ابن عمر وابن الزبير: أنهما كانا يواصلان الصيام (٢) وأجاز مالك - وهو إمام في الاقتداء - صيام الدهر؛ يعني إذا أفطر أيام العيد، والآثار في هذا المعنى كثيرة عن الأولين، وهي تدل على الأخذ بما هو شاق على الدوام ولم يعدّهم أحدٌ بذلك مخالفين للسنة، بل عدّوهم من السابقين - جعلنا الله منهم -.

وأيضاً فإن النهي ليس عن العبادة المطلوبة بل هو عن الغلوّ فيها غلواً يدخل المشقة على العامل، فإذا فرضنا من فقدت في حقه تلك العلة فلا ينهض النهي في حقه.

وحال من فقدت في حقه العلة حال من يعمل بحكم من غلبه الشوق

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ٢٣٧).

(٢) قال في الاعتصام (١/ ٤٠٥): «ويكون عمل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما في الوصال جارياً على أنهم أعطوا حظاً مما أعطيه رسول الله ﷺ وهذا بناء على أصل مذكور في كتاب «الموافقات» والحمد لله».

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٢٩

أو غلبه الرجاء أو المحبة، فإن الخوف سوط سائق، والرجاء حادٍ قائد، والمحبة سبيل حامل.. والمحِبُّ يعمل ببذل المجهود؛ شوقاً إلى المحبوب، فيسهل عليه الصعب، وَيَقْرُبُ عليه البعيد، فيوهن القوى ولا يرى أنه أوفى بعهد المحبة ولا قام بشكر النعمة، ويعصر الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمته»^(١).

وقال الإمام اللكنوي: فالحاصل: جواز الاجتهاد في العبادة بشروط:

الأول: أن لا يحصل له ملل يفقده لذة العبادة، بدليل قوله ﷺ «لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فليَقْعُدْ»^(٢).

الثاني: أن يكثر حسب طاقته، ودليله: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»^(٣).

الثالث: لا يفوت من الأعمال ما هو أهم، ويدل عليه قول عمر: «لأن أشهد الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة»^(٤).

الرابع: أن لا يضيع حقاً شرعياً، كما حصل لابن عمرو، وأبي الدرداء.

(١) الاعتصام (٤٠٠/١) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب التهجد، باب ١٨ (١١٥٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢).

(٤) موطأ الإمام مالك، كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصبح

(١/١٣١) (٧).

١٣٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

الخامس: أن لا يبطل رخصة شرعية، كما ظنَّ الرهط الذين تقالوا
عمل النبي ﷺ في بيته.

السادس: أن لا يوجب ما ليس بواجب شرعي، كما أوجب ابن
مظعون على نفسه.

السابع: أن يأتي بالعبادة المُجْتَهِد فيها بتمامها، بدليل: «لا يَفْقَهُ
مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ»^(١).

الثامن: أن يداوم على ما يختاره من العبادة، بدليل: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ
إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢).

التاسع: أن لا يجتهد بحيث يورث الملل لغيره، أخذاً بحديث:
«إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ»^(٣).

العاشر: أن لا يعتقد أنه أفضل عملاً مما كان عليه ﷺ من تقليل
العمل^(٤).

(١) أخرجه أبو داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه، باب تحزيب القرآن
(١٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٤)

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٣/١٠٠) (٧٦٦٧).

(٤) انظر كتاب: إقامة الحجّة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة (ص ١٤٧-١٥٣)

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٣١

٥ - من مظاهر حب السلف للصوم: صيام يوم، وإفطار يوم:

من مظاهر حب السلف للصوم، أن كثيراً منهم كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ومن هؤلاء:

الإمام، الحافظ، فقيه العراق إبراهيم النخعي رضي الله عنه
(ت: ٩٦هـ):

قال سعيد بن جبير: تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي؟ حدثت
هنيذة امرأة إبراهيم، أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً^(١).

ومنهم: الإمام ابن سيرين رضي الله عنه (ت: ١١٠هـ):

عن أيوب قال: كان محمد يصوم يوماً ويفطر يوماً^(٢).

ومنهم: الإمام عبد الرحمن بن الأسود النخعي رضي الله عنه
(ت: ٩٨هـ):

قال هلال بن خباب: كان عبد الرحمن بن الأسود، وعقبة مولى
أديم وسعد أبو هشام يحرمون من الكوفة، ويصومون يوماً ويفطرون
يوماً حتى يرجعوا.

(١) حلية الأولياء (٤/٢٢١، ٢٢٣).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (١/٢٤٨) وسير أعلام النبلاء (٤/٦١٥).

وعن الحكم أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى فقبل له: ما يبكيك؟ فقال: أسفاً على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو حتى مات. وروي أن عبد الرحمن صام حتى أحرق الصوم لسانه^(١).

وقال زبيد اليامي كان عبد الرحمن بن الأسود يصلي بقومه في رمضان اثنتي عشرة ترويحة، ويصلي لنفسه بين كل ترويحتين اثنتي عشرة ركعة، ويقرأ بهم ثلث القرآن كل ليلة. وكان يقوم بهم ليلة الفطر ويقول: إنها ليلة عيد^(٢).

ومنهم: الإمام العلم محمد بن شهاب الزهري رضي الله عنه (ت: ١٢٤هـ):

جاء عن معاذ بن صالح أن أبا جبلة حدثه قال: كنتُ مع ابن شهاب في سفر وصام يوم عاشوراء، فقبل له لِمَ تصوم وأنت تفر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيامٍ أُخر، وإن عاشوراء يفوت^(٣).

وقال الزهري: تسبيحةٌ في رمضان خيرٌ من ألفٍ في غيره^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٥).

(٢) الطبقات الكبرى (٢٩٥/٦). وانظر: تاريخ الإسلام (١١٣٠/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٤٢/٥).

(٤) التكميل في الجرح والتعديل لابن كثير (٥٣/٣).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٣٣

ومنهم: الإمام شيخ الإسلام، سليمان بن طرخان رضي الله عنه
(ت: ١٤٣هـ):

جاء عن محمد بن عبد الأعلى أنه قال: قال لي معتمر بن سليمان:
لولا أنك من أهلي ما حدثتك بهذا عن أبي، مكث أبي أربعين سنة يصوم
يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة^(١).

ومنهم: الإمام الحافظ عالم البصرة عبد الله بن عون رضي الله عنه
(ت: ١٥١هـ):

قال بكار بن محمد: كان ابن عون يصوم يوماً ويفطر يوماً^(٢). وكان
لا يزيد في رمضان على حضور المكتوبة، ثم يخلو في بيته^(٣).

ومنهم: الحافظ المجود الثبت غندر محمد بن جعفر رضي الله
عنه (ت: ١٩٣هـ):

قال يحيى بن معين: وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً منذ خمسين
سنة^(٤).

(١) حلية الأولياء (٢٩/٣) وسير أعلام النبلاء (١٩٧/٦).

(٢) حلية الأولياء (٤٠/٣) وسير أعلام النبلاء (٣٦٦/٦).

(٣) تاريخ الإسلام (١٠١/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩٩/٩).

٦ - الصيام ملاذ العابدين!

قال التابعي الجليل بُدَيْل العُقَيْلي رضي الله عنه: «الصيام معقل العابدين»^(١).

٧ - أفضل الصيام!

قال التابعي الجليل عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه: «أفضل الصيام الصيام من أربع: من الطعام، والمأثم، والمحارم، وأن تظفر على صدقة»^(٢). يعني - والله أعلم - : تبدأ بالتصدق، لا أن تأكل من صدقة.

٨ - لو جرعت جرعة ماء!

قال يزيد بن عبد ربه: «عدت مع خالي علي بن مسلم - المحدث العابد - أبا بكر بن أبي مريم الحمصي وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء، فقال بيده: لا، ثم جاء الليل فقال: أذن؟ فقلت:

(١) حلية الأولياء (٦٢ / ٣). ومعنى معقل: أي: الملجأ والملاذ الآمن، انظر مختار

الصحاح، مادة: عقل.

(٢) حلية الأولياء (٢٥٢ / ٤).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٣٥

نعم فقطرنا في فمه قطرة ماء، ثم غمضناه، فمات رحمه الله، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوى فمه من الصيام»^(١).

٩ - حوض عتبة!

قال سعيد بن عامر: «كانت امرأة بالبصرة تديم الصيام، قالت: كنت إذا أفطرت قلت: اللهم اسقني من حوض النبي ﷺ قالت: فأتاني آت في منامي فقال: إذا سألت الله أن يسقيك من حوض النبي ﷺ فسليه أن يسقيك من حوض عتبة، فإن له في الجنة حوضاً، وكانت جارة لعتبة الغلام»^(٢).

وعتبة هو: ابن أبان الغلام، سمي الغلام؛ لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان لا لصغر سنه، وهو من نساك البصرة مات شهيداً في قتال الروم.

١٠ - كأنه طاعم ناعم!

كان الإمام الزاهد شقيق بن إبراهيم البلخي رضي الله عنه، يقول: «سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد: الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور، بالرضا لا بالجزع.

(١) حلية الأولياء (٦/٨٩). ومعنى خوى: خلا، انظر العين (٤/٣١٨) ومعناه هنا:

خلاء الفم وضعفه من أثر الصيام.

(٢) حلية الأولياء (٦/٢٣٨).

والصبر على العري بالفرح لا بالحزن.

والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف؛ كأنه طاعم

ناعم!

والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالتكره.

والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط.

وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب.

ويكسوه ظهره من أين، وكيف، ولعل، وعسى. فإذا كان في

هذه الأبواب السبعة فقد سلك صدراً من طريق الزهاد، وذلك الفضل

العظيم»^(١).

١١ - اللهم سلمني لرمضان!

عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هؤلاء

الكلمات، إذا جاء رمضان، يقول: «اللهم سلمني لرمضان، وسلم رمضان

لي، وتسلمه مني متقبلاً»^(٢).

(١) حلية الأولياء (٨ / ٦٠).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩ / ٥١): «غريب، ورواه أبو زرعة الرازي

عن خلف بن الوليد، وتفرد به خلف».

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٣٧

قال أبو عمرو الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير يدعو حضرة شهر رمضان: «اللهم سلمني لرمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً»^(١).

١٢ - وإما صيام رمضان!

قال التابعي الجليل خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه: «كان يعجبهم أن يموت الرجل عند خير يعمله: إما حج، وإما عمرة، وإما غزوة، وإما صيام رمضان»^(٢).

١٣ - ما أجمله من دواء لقسوة القلب!

شكا رجل إلى مالك بن دينار قسوة قلبه، فقال له:

- أدمن الصيام.
- فإن وجدت قسوة فأطل القيام.
- فإن وجدت قسوة فأقل الطعام^(٣).

(١) حلية الأولياء (٣/٦٩).

(٢) المصدر السابق (٤/١١٥).

(٣) ذم الهوى لابن الجوزي (ص: ٦٩).

١٤ - شهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته!

قال الإمام ابن الجوزي: «الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب!

وإن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]. فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات والعتق من النار والغفران من الملك القهار ما يغلب جميع الشهور، وما اكتسبنا فيها من الآثام والأوزار.

جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل، وإزاحة العلل، بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل، فأحسن لهم الإنزال، وأصلح لهم الأحوال، وبلغهم غاية الآمال، وأطعمهم في الجوع، وأذن لهم في الرجوع، وقال لفتيانهم: ﴿اجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ [يوسف: ٦٢]. فسد الواحدُ خلل أحد عشر.

كذلك شهر رمضان واحد، والشهور أحد عشر، وفي أعمالنا خلل وأي خلل، وتقصير أي تقصير، وتفريط في طاعة العليم الخبير.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٣٩
ونحن نرجو أن نتلافى في رمضان ما فرطنا فيه في سائر الشهور،
ونصلح فيه فاسد الأمور، ويختمه علينا بالفرح والسرور، ونعتصم فيه
بحبلى الملك الغفور»^(١).

١٥ - أفادع أيامي تذهب باطلاً؟

روى الإمام عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن سالم - وليس
بالقداح - قال: نزل روح بن زنباع منزلاً بين مكة والمدينة في يوم صائف،
وقرب غداؤه فانحط عليه راع من خيل، فقال: يا راعي هلم إلى الغداء،
قال: إني صائم، قال روح: «أو تصوم في هذا الحر الشديد؟»، قال: فقال
الراعي: أفادع أيامي تذهب باطلاً؟ قال: فأنشأ روح يقول:

لقد ضننت بأيامك يا راع إذ جاد بها روح بن زنباع

١٦ - أكره أن أخلف الله ما وعدته!

وعن مالك، قال: بلغني أن حسين بن رستم الأيلي، دخل على
قوم وهو صائم، فقالوا له: أفطر، فقال: إني وعدت الله وعداً، وأنا أكره
أن أخلف الله ما وعدته!

(١) بستان الواعظين، لابن الجوزي (١/٢٣١) (٣٦٨).

١٧- وَمَنْ لِي بَعْدِ؟!!

قال: وأخبرنا أبو بكر، حدثني بعض أهل العلم، قال: «دعا قوم رجلاً إلى طعامهم، فقال: إني صائم، فقالوا: أفطر اليوم، وصم غداً، فقال: ومن لي بعد!»^(١).

١٨- فكان يتوخي ذلك اليوم الحار الشديد الحر!

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا غازين في البحر فينما نحن والريح لنا طيبة، والشراع لنا مرفوع، فسمعنا منادياً ينادي يا أهل السفينة! قفوا أخبركم حتى والى بين سبعة أصوات، قال أبو موسى: فقمْتُ على صدر السفينة فقلت:

مَنْ أَنْتَ؟

وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

أو ما ترى أين نحن؟ وهل أستطيع وقوفاً؟

قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاءه الله عز وجل على

نفسه؟

(١) هذه الفقرات الثلاث أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٢٧).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٤١

قال: قلت: بلى أخبرنا قال: فإنَّ الله تعالى قضى على نفسه أنَّه مَنْ عطش نفسه لله عز وجل في يومٍ حارٍّ كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة.
قال: فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسانُ فيصومه^(١).

١٩ - من خصال الإيمان: الصوم في الحر!

رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء.

ووصى عمر رضي الله عنه عند موته ابنه عبد الله فقال له: عليك بخصال الإيمان. وسمي أولها: الصوم في شدة الحر في الصيف.

وكانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً فتصومه، فيقال لها في ذلك فتقول:

إنَّ السعر إذا رخص اشتراه كل أحد! ^(٢). تشير إلى أنها لا تؤثر

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٣٠٧/٤)

(٧٨٩٧) وابن أبي شيبة بنحوه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام وثوابه

(٢/٢٧٣) (١٨٩٠١) وأبو نعيم في الحلية، واللفظ له (١/٢٦٠).

(٢) انظر: لطائف المعارف (١/٣٢٢).

١٤٢ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

إلا العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليلٌ من الناس لشدته عليهم، وهذا مِنْ علو الهمة.

٢٠ - يصوم هو وابنه وامرأته نحو أربعين سنة!

هو الإمام العابد زيد بن بندار رضي الله عنه (ت: ٢٧٣هـ) قال عنه أبو نعيم الأصبهاني: «من الفقهاء، صام نحو أربعين سنة هو وابنه وامرأته»^(١).

٢١ - أمير المؤمنين يفطر على خبز نقي وملح وخل وزيت!

كان أمير المؤمنين المهدي يفطر في رمضان على خبز نقي وملح وخل وزيت، ويقول: فكرتُ في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز، وكان من التقلُّ والتكشف على ما بلغنا؛ فغرتُ على بني هاشم، وأخذتُ نفسي بذلك^(٢).

(١) تاريخ أصبهان لأبي نعيم (٣٧٧/١) وانظر طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (٢٢٩/٣).

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٩٨/٥)، وفوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبي (٥٠/٤).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٤٣

٢٢ - الوليد بن عبد الملك يختم في رمضان سبع عشرة مرة!

قال إبراهيم بن أبي عبلة: كان الوليد بن عبد الملك بن مروان يختم في رمضان سبع عشرة مرة^(١).

وقال: رحم الله الوليد، وأين مثل الوليد، افتتح الهند والأندلس وبنى مسجد دمشق، وكان يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قراء بيت المقدس.

٢٣ - الإفطار رحمكم الله!

كان الأمير مالك بن طوق التغلبي، أحد الأشراف والفرسان والأجواد والأعيان، مدحه أبو تمام الطائي وغيره. وكان في رمضان ينادي مناديه على باب الخضراء دار الإمارة بعد المغرب: الإفطار رحمكم الله، الإفطار رحمكم الله. والأبواب مفتحة. وكان مشهوراً بالسخاء^(٢).

وقال إبراهيم بن سعد: كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين لم يفطر، حتى يختم القرآن، وكان يفطر فيما بين المغرب

(١) تاريخ الإسلام (٢/١١٨٣).

(٢) المصدر السابق (٦/٢١٢).

١٤٤ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

والعشاء الآخرة، وكان كثيراً إذا أفطير يرسلني إلى مساكين يأكلون معه (١).

٢٤ - فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً!

كان الإمام الفقيه التابعي حماد بن أبي سليمان الكوفي رضي الله عنه يُفطّر كل ليلة في رمضان خمسين إنساناً، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً (٢).

٢٥ - توارث الصيام في الأسرة!

من الأسر العلمية التي كانت تتوارث الصيام في تاريخنا الإسلامي: أسرة ابن جميع الصيداوي، ومنهم المسند، الرّحال، العالم أبو الحسين ابن جميع رحمه الله، قال ابنه: «صام أبي أبو الحسين وله ثمان عشرة سنة إلى أن توفي». وقد عاش ستاً وتسعين سنة. وكذا كان والده أبو بكر عابداً صواماً.

وقال السكن ابن جميع: سردت الصوم ولي ثمان وعشرون سنة، ولي الآن سبع وثمانون سنة، وكذا سرد الصوم أبي وجدّي (٣).

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٨) وتاريخ الإسلام (٣/ ٢٢٥)، وفيه - أيضاً - : ويعطيهم ليلة العيد مئة مئة.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٥، ١٥٧، ١٥٦).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٤٥

٢٦ - لأصومنَّ له أيام حياتي!

جاء عن الإمام سعيد بن عبد العزيز أنه قال: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زحلة - وهي مولاة معاوية رضي الله عنها، وكانت من العابدات - دخل عليها نفر من القرّاء، فكلّموها في الرفق بنفسها فقالت: «مالي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى». ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟

ولقد قامت - رحمها الله - حتى أقعدت، وصامت حتى اسودّت، وبكت حتى عمشت، وكانت تقول: «علمي بنفسى قرّح فؤادي، وكلم قلبي، والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكوراً».

وكانت - رحمها الله - تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين في سبيل الله^(١).

٢٧ - إني ربما كنت صائمة فأرخي يدي فيه!

وأخبر المروزي فقال: ذكرت لأحمد بن حنبل ميمونة بنت الأقرع رضي الله عنه فقلت له: «إنها أرادت أن تبيع غزلها فقالت للغزال:

(١) صفة الصفوة (٢/٢٥٢).

إذا بعث هذا الغزل فقل: إني ربما كنت صائمة فأرخي يدي فيه، ثم ذهبت ورجعت فقالت: رد عليّ الغزل أخاف ألا تبين للغزال هذا»^(١).
كتب عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء.

٢٨ - فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب!

قال السري بن يحيى: «كان الحسن البصري يصوم البيض، وأشهر الحرم، والاثنين، والخميس»^(٢).

وكان يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب! وكان يقول: توبوا إلى الله من كثرة النوم والطعام^(٣).

٢٩ - لا يُرى في بيته الدخان نهراً إلا إذا نزل بهم ضيف!

جاء عن الإمام رجاء بن حيوة، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ» قال: «فكان أبو أمامة

(١) طبقات الحنابلة (١/٤٢٦).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (١/٢١٨) (١٥٣٠). وانظر سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٨).

(٣) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (١/٢٨).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٤٧

لا يُرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل بهم ضيف، فإذا رأوا الدخان نهاراً عرفوا أنه قد اعتراهم ضيف»^(١).

٣٠- ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ظمأ الهواجر!

جاء عن الإمام سعيد بن جبير قال: «لما احتضر ابن عمر، قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا- يعني: الحجاج-»^(٢). وكان لا يصوم في السفر، ولا يكاد يفطر في الحضر»^(٣).

وعن قتادة قال: «لما احتضر عامر بن عبد قيس بكى، فقيل ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل»^(٤).

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٣٠٨/٤) (٧٨٩٩)

وابن أبي شيبة، كتاب الصيام، باب ما ذكر في فضل الصيام وثوابه (٢٧٣/٢)

(٨٨٩٥) مختصراً. وابن حبان في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ذكر

البيان بأن الصوم لا يعدله شيء من الطاعات، رقم (٣٤٢٥٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٤٠/٤) وانظر سير أعلام النبلاء

(٢٣٢/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١٥/٣).

(٤) حلية الأولياء (٨٧/٢) وسير أعلام النبلاء (١٩/٤).

٣١- ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾!

قال أبو بكر النيسابوري: حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته، فجعل يقول لابنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر، قال: يا أبت الستر مرفوع.

قال: أنا عطشان، فجاءه بماء.

قال: أغابت الشمس؟

قال: لا.

قال: فردّه، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ١٦] ثم خرجت روحه^(١).

وإبراهيم بن هانئ هو: الإمام، الحافظ، القدوة، العابد، قال أحمد ابن حنبل: إن كان ببغداد أحد من الأبدال، فأبو إسحاق النيسابوري^(٢).

٣٢- إنما طلبت الرفق لنفسي

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة!

عن الشعبي قال: «غُشِيَ عَلَى مَسْرُوقٍ فِي يَوْمِ صَائِفٍ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ تَبَنَّتْهُ، - أَي: جعلته بمنزلة ولدها، وكانت تقول

(١) تاريخ بغداد (٦/٢٠٣) وصفة الصفوة (١/٥١١).

(٢) تاريخ بغداد (٦/٢٠٤) وانظر: سير أعلام النبلاء (١٣/١٨).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٤٩

له: «يا مسروق إنك من ولدي، وإنك لمن أحبهم إلي» - فسَمَّى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئاً.

قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب، قال: ما أردت لي

يا بُنية؟

قالت: الرفق.

قال: يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة»^(١).

٣٣- إِنَّ الْخَيْلَ لَا تَجْرِي الْغَايَاتِ وَهِيَ بُدْنِي!

عن عطية بن قيس، قال: دخل ناس من أهل دمشق على أبي

مسلم الخولاني - رضي الله عنه - وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر

جُورَةً في فسطاطه، وجعل فيها نِطْعاً، وأفرغ فيه الماء، فهو يتصلق فيه،

وهو صائم.

فقال له نفر: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر، وقد رخص

الله تعالى لك الفطر في السفر والغزو؟

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٧).

١٥٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

قال: «لو حضر قتال لأفطرتُ وتقويتُ للقتال، إنَّ الخيل لا تجري الغايات وهي بُدني، إنما تجري وهي ضَمِراتٍ، إنَّ بين أيدينا أياماً لها نعمل»^(١).

٣٤- يا بني قتلت قتيلاً؟!

من الأئمة الأعلام: الحافظ، الثبت، القدوة، منصور بن المعتمر الكوفي رضي الله عنه.

قال زائدة: إنَّ منصوراً صام أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمُّه يا بني، قتلت قتيلاً؟!

فيقول: أنا أعلم بما صنعتُ بنفسِي، فإذا كان الصبحُ كحلَّ عينيه، ودَهَنَ رأسه، وبرَّقَ شفَّتيه، وخرج إلى الناس^(٢).

٣٥- صام أربعين سنة لا يعلم به أهله!

إنَّه الإمام، الحافظ، الثقة، مفتي أهل البصرة داود بن أبي هند رضي الله عنه:

قال ابن أبي عون: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به

(١) حلية الأولياء (١٢٧/٢) وانظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٤).

(٢) حلية الأولياء (٤١/٥) وسير أعلام النبلاء (٤٠٤/٥).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٥١

أهله - وكان خزازاً - يحمل معه غداءه، فيتصدق به في الطريق^(١).

قال ابن الجوزي: يظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن
أهله أنه قد أكل في السوق^(٢).

ومستفسرٍ عن سرِّ يومي رددته فأصبح في يومي بغير يقينٍ
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمينٍ

٣٦ - راجع حفصة فإنها صوامة!

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها
خالها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت... وجاء النبي ﷺ فتجلبت،
قال: فقال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة،
وإنها زوجتك في الجنة، فراجعها^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (٦/٣٧٦).

(٢) المدهش لابن الجوزي (١/٤٢٠).

(٣) أخرجه ابن سعد (٨/٨٤) والطبراني في الكبير (١٨/٥٣٦) عن قيس بن زيد،
وقال ابن حجر في فتح الباري ٩/٢٨٦: «قيس مختلف في صحبته، ونحوه
عنده من مرسل محمد بن سيرين». وقال الهيثمي ٩/٢٤٥: «رواه الطبراني،
ورجاله رجال الصحيح». وأخرجه الحاكم ٤/١٥، وذكر له شاهداً من حديث
أنس، فيتقوى به.

٣٧- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْكَ بِهَذَا كَلَه!

عن هشام بن حسان أن العلاء بن زياد رضي الله عنه كان قوت نفسه رغيفاً كل يوم، وكان يصوم حتى يخضر، أو يصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا: «إن الله تعالى لم يأمرك بهذا كله، فقال: إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئته به»^(١).

٣٨- يصوم كثيراً ويمنع نفسه من الشهوات!

كان السلطان نور الدين محمود زنكي رحمه الله ملكاً عادلاً، وكان عابداً، كثير الصيام:

قال الإمام ابن كثير في ترجمته: «صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة، كان مجاهداً في الفرنج، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، محباً للعلماء والفقراء والصالحين، مبغضاً للظلم، صحيح الاعتقاد، مؤثراً لأفعال الخير، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً في زمانه، وكان قد قمع المناكر وأهلها، ورفع العلم والشرع، وكان مدمناً لقيام الليل، يصوم كثيراً ويمنع نفسه من الشهوات، وكان يحبُّ التيسير على المسلمين، ويرسل البر إلى العلماء الفقراء والمساكين والأيتام

(١) حلية الأولياء (٢/٢٤٣).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٥٣
والأرامل، وليست الدنيا عنده بشيء - رحمه الله وبلى ثراه بالرحمة
والرضوان - «(١).

٣٩ - أصبح دهري صائماً!

كان علم الزهاد معروف الكرخي رضي الله عنه إذا سُئِلَ: كيف
تصوم؟ غالط السائل، وقال: صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود
كذا وكذا، فألح عليه فقال: أصبح دهري صائماً، فمن دعاني أكلت، ولم
أقل إني صائم (٢).

قال عبيد بن محمد الوراق: مرّ معروف - وهو صائم - بسقاء
يقول: رحم الله من شرب، فشرب رجاء الرحمة (٣).

٤٠ - أهم أحكام الصيام الفقهية:

صنّف الفقهاء في أحكام الصيام كتباً كثيرة، وقد اشتملت على
كل ما يهم المسلم في أداء هذه الفريضة المباركة، وسوف أتناول في هذه

(١) البداية والنهاية (١٢/٣٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/٣٤١).

(٣) حلية الأولياء (٨/٣٦٥) وسير أعلام النبلاء (٩/٣٤٣). وفي صفة الصفوة

(١/٤٧١): «وقال: لعل الله أن يستجيب له».

الخاتمة أهم هذه الأحكام مما أجمع أو اتفق عليها الفقهاء، أما المسائل المختلف فيها فهي كثيرة جداً، وقد ذكرت بعضها مما رأته مهماً في الحاشية، ومن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى الكتب الفقهية.

١ - اتفق الفقهاء على أن صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام وفرض من فروضه. قال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢ - وتعريفه في الشرع: عبارة عن إمساك عن المطعم والمنكح مع النية في زمان مخصوص لمن خوطب به، ولمن هو من أهله.

٣ - اتفقوا على أن وجوب الصوم وقته من أول طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وأن الفجر الثاني الذي لا ظلمة بعده هو المحرم الأكل والشرب والجماع.

٤ - اتفقوا على وجوب النية للصوم المفروض في شهر رمضان، وأنه لا يجوز إلا بنية. وأن صوم النفل كله يجوز بنية من الليل، ومن

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٥٥

النهار قبل الزوال إلا مالكا فإنه قال: لا يصح إلا بنية من الليل^(١).

٥ - اتفقوا على أنه يجب على كل مسلم عاقل بالغ مقيم قادر على الصوم، خال عن حيض ونفاس فلو صامت الحائض والنفساء لم يصح، ويلزمهما القضاء.

(١) ثم اختلفوا في النية:

فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايته: لا بد من التعيين فإن لم يعين لم يجزه، وإن نوى صوماً مطلقاً، أو نوى صوم التطوع لم يجزه. وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين، وإن نوى صوماً مطلقاً أو نفلاً أجزاءً، وهي الرواية الأخرى عن أحمد.

ثم اختلفوا في وقت النية لفرض شهر رمضان:

فقال مالك والشافعي وأحمد: يجوز في جميع الليل وأول وقتها بعد غروب الشمس وآخره طلوع الفجر الثاني، وتجب النية قبل طلوعه. وقال أبو حنيفة: تجوز بنيته من الليل ولو لم ينو حتى أصبح ونوى أجزاءه النية ما بينه وبين الزوال.

واختلفوا في النية لصوم شهر رمضان هل يجزئه نية واحدة لشهر رمضان كله أو يفتقر كل ليلة إلى نية؟

فقال أبو حنيفة والشافعي: يفتقر كل ليلة إلى نية. وقال مالك: تجزئه نية واحدة لجميع الشهر ما لم ينسخها. وعن أحمد روايتان أظهرهما: أنه يفتقر كل ليلة إلى نية والأخرى كمذهب مالك. انظر اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١،

٦ - اتفقوا على أن الصبي الذي لا يطيق الصوم، والمجنون غير مخاطبين به، لكن يؤمر الصبي به لسبع ويضرب عليه لعشر^(١).

٧ - أجمعوا على أن للشيخ الكبير، والعجوز العاجزين عن الصوم أن يفطرا^(٢).

٨ - أما المريض الذي لا يرجى برؤه فإنه لا صوم عليه، وتجب الفدية^(٣).

٩ - اتفقوا على أنه يجب صوم شهر رمضان على الحائض والنفساء والمرضع والمسافر والمريض، إلا أنهم لا يتحتم عليهم فعله مع قيام أعدارهم، بل يجب عليهم القضاء مع زوالها^(٤).

(١) انظر: مزيد النعمة للمحلي، ص ٢٢٤ - ص ٢٢٧.

(٢) واختلفوا في الفدية:

فتجب الفدية عند أبي حنيفة فقال: يطعم عن كل يوم نصف صاع من بر أو تمر، وهو الأصح من مذهب الشافعي، فقال: عن كل يوم مد. وقال مالك: لا صوم، ولا فدية. وهو قول للشافعي.

وقال أحمد: يطعم نصف صاع من تمر أو من شعير، أو مداً من بر. انظر: الإجماع لابن المنذر، ص ٥٠.

(٣) انظر: مزيد النعمة للمحلي، ص ٢٢٧.

(٤) انظر: اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٢٨.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٥٧

١٠ - اتفقوا على أنه يباح للحامل والمرضع الفطر إذا خافتا على أنفسهما وولديهما، فلو صامتا صح^(١).

١١ - اتفقوا على أن المسافر والمريض الذي يرجى برؤه يباح لهما الفطر، وإن صامتا صح، وإن تضررا كره الصوم.

١٢ - ومن أصبح صائماً ثم سافر لم يجز له الفطر عند الثلاثة. وقال أحمد: يجوز^(٢).

١٣ - وأجمعوا على أن السحور مندوب إليه. وعلى أن تعجيل الفطر وتأخير السحور مستحب^(٣).

(١) فإن أفطرتا خوفاً على الولد لزمهما القضاء والكفارة عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا كفارة عليهما. وقال مالك: تجب على المرضع دون الحامل. انظر: مزيد النعمة للمحلي، ص ٢٢٤.

(٢) ثم اختلفوا هل الأفضل له الصوم أو الفطر؟

فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: الصوم أفضل فإن أجهده الصوم كان الفطر أفضل وفاقاً.

وقال أحمد: الفطر للمسافر أفضل، وإن لم يجهده الصوم. وهو قول ابن حبيب من أصحاب مالك، وقال: لأنه آخر الأمرين من رسول الله ﷺ مزيد النعمة لحسين المحلي، ص ٢٢٥.

(٣) انظر: الإجماع لابن المنذر، ص ٤٩، واختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٣٢.

١٤ - وأجمعوا على أن من تعمد الأكل والشرب صحيحاً مقيماً
في يوم من شهر رمضان أنه يجب عليه القضاء^(١).

١٥ - واتفقوا على أن من أكل أو شرب ناسياً فإنه لا يفسد صومه.
إلا مالكا فإنه قال: يفسد وعليه القضاء^(٢).

(١) ثم اختلفوا في وجوب الكفارة:

فقال أبو حنيفة ومالك: تجب الكفارة، إلا أن أبا حنيفة اشترط في وجوب الكفارة أن يكون المتناول ما يتغذى به، أو يتداوى به، فأما إن ابتلع حصة أو نواة فلا تجب الكفارة. ومالك يقول: يجب بالأكل والشرب، فأما إن ابتلع حصة أو نحوها ففي وجوب الكفارة عنه روايتان. وقال الشافعي في أحد قوليه وأحمد: لا تجب عليه الكفارة بل القضاء فقط. وعن الشافعي في القول الآخر يجب القضاء والكفارة معا.

واختلفوا فيمن وجب عليه قضاء شهر رمضان فأخره لغير عذر حتى دخل رمضان آخر:

فقال مالك والشافعي وأحمد: يصوم الذي حضر ثم يقضي الأول وعليه الفدية عن كل يوم مسكينا.

وقال أبو حنيفة: لا فدية عليه بل القضاء فقط. اختلف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٣٨.

(٢) واختلفوا فيمن تمضمض واستنشق فوصل من الماء إلى جوفه سبقاً:

فقال أبو حنيفة ومالك: يفسد صومه سواء كان مبالغاً في المضمضة والاستنشاق أم لم يبالغ.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٥٩

١٦ - واتفقوا على أن من وطئ في نهار رمضان عامداً مختاراً كان عاصياً، وبطل صومه، ولزمه إمساك بقية النهار، وعليه الكفارة، وهي: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، فهي على الترتيب عند الثلاثة. وقال مالك: هي على التخيير، والإطعام عنده أولى^(١).

١٧ - وأجمعوا على أن الصائم إذا نام في يوم من شهر رمضان فحلم في نومه فأجنب فإنه لا يفسد صومه.

١٨ - وأجمعوا على أن من ذرعه القيء فصومه صحيح.

١٩ - وأجمعوا على أن الغبار أو الدخان، أو الذباب أو البق إذا دخل حلق الصائم فإنه لا يفسد صومه^(٢).

٢٠ - واتفقوا على أن الريق ما لم يفارق الفم لا يفطر^(٣).

= وقال الشافعي: إن بالغ فيهما فقد أفسد صومه، إن لم يكن ساهياً. وفي غير المبالغة له قولان.

وقال أحمد: إذا سبق الماء إلى حلقه ولم يكن بالغ فلا يفسد صومه، فإن بالغ فالظاهر من مذهبه أنه يفطر على احتمال. انظر: اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٣٨.

(١) انظر: مزيد النعمة لحسين المحلي، ص ٢٣٥.

(٢) انظر: اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٤٢ - ص ٢٥٦.

(٣) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم، ص ٤٠.

- ٢١ - والحقنة تفرط، إلا في رواية عن مالك.
- ٢٢ - ومن نام جميع النهار صح صومه بالاتفاق^(١).
- ٢٣ - وأن الكذب والغيبة والشتيم لا يبطل الصوم بالاتفاق.
- ٢٤ - واتفقوا على أنه لا يكره للصائم الاغتسال في شدة الحر إلا أبا حنيفة فإنه يكرهه.
- ٢٥ - واتفقوا على أن قضاء شهر رمضان متفرقاً يجزئ، والتتابع أحسن^(٢).
- ٢٦ - وأجمعوا أن صيام يوم الفطر ويوم النحر لا يجوز^(٣).
- ٢٧ - اتفقوا على أن الاعتكاف مشروع وأنه قربة، وأنه لا يصح إلا بالنية.
- ٢٨ - وأجمعوا على أنه لا يصح اعتكاف المرأة في بيتها. إلا أبا حنيفة فإنه قال: يجوز لها الاعتكاف في مسجد بيتها^(٤).

(١) انظر: مزيد النعمة لحسين المحلي، ص ٢٣٤ - ص ٢٤٢.

(٢) انظر: اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٣٣ - ص ٢٥١.

(٣) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم، ص ٥٠.

(٤) انظر: اختلاف الأئمة لابن هبيرة، ج ١، ص ٢٥٩ - ص ٢٦١.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٦١

٢٩ - واتفقوا على أن من خرج من معتكفه في المسجد لغير

حاجة ولا ضرورة ولا بر أمر به أو ندب إليه فإن اعتكافه قد بطل (١).

٤١ - من حصاد رمضان (٢):

خاطرة رمضانية

لعلّ من أسرار قول الله تعالى في الحديث القدسي: «الصوم لي، وأنا أجزي به» - أي: جزاء غير محدود - أن رمضان شهر الصبر، و﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وهذا المعنى قاله الغزالي رحمه الله، ونصّه: «قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر، وأنه نصف الصبر؛ قال الله تعالى: «الصوم لي، وأنا أجزي به»، فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات» (٣).

(١) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم، ص ٤١.

(٢) هذه الفقرة رقم (٤١) إلى آخر الكتاب لأخي الدكتور عبد الحكيم الأنيس، وبعض موادها منشور في موقع الألوكة الإلكتروني.

(٣) إحياء علوم الدين (١٢/٣٣).

٤٢- من مكتبة رمضان:

١- كتاب: (النبي ﷺ في رمضان) وهو كتابٌ يتَّبَعُ حياةَ النبي ﷺ

في رمضان مُرتَّبة حسب السنوات. فهو يجيب على سؤاليين:

- كم رمضانًا صام عليه الصلاة والسلام؟
- وما صنع في كل رمضان من تلك الرمضانات؟

وقد قلت فيه:

إن أردتَ الصفاء بعضَ زمانٍ
والضيء الموفور فوق مكانٍ
وأردتَ الأنوار تغمُرُ نفسًا
وتفيض السرور في الوجدانِ
فدع الهم ساعة وتأمل
في حياة (النبيِّ في رمضان)

٢- وكتاب: (مُنجزات علمية في رمضان) جاء في مقدمته:

«لما رأيتُ مَنْ يَميلُ إلى الدَّعة في هذا الشهر الفضيل، ويغلب عليه فيه التواني والتراخي - أحببتُ أن أذكرَ بما كان للعلماء في هذا الشهر من الإنجازات العلمية، مُثبتين بذلك أن الصيام والقيام لا يمنعان

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٦٣
أبدأ من العمل حتى لو كان عملاً ذهنيًا شاقًا مُجهِّداً...»^(١).

٣- وكتاب: (وداع رمضان) للشيخ أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي.

٤- وكتاب: (قادة الأمة في رمضان) والكتب الأربعة مطبوعة،
ولها نسخ إلكترونية في الشبكة العنكبوتية.

٤٣- ختمة العمل!

رمضان والقرآن مقترنان، ولهما في تاريخ الإسلام والأمة تراثٌ كبير،
وذكر كثير، وقد درج الصائمون على تلاوة القرآن في رمضان مرات.

وأحبُّ أن أقترح هنا أن نقوم بختمة نبدأ بها من رمضان هذا، وننتهي
منها في رمضان القادم إن شاء الله، ونسميها:

(ختمة العمل) وتكون طريقتنا فيها الوقوف عند كل آية فتأملها،
ونقرأ تفسيرها في (التفسير الميسر) أو (المنتخب).

ثم نقف ونسأل أنفسنا عن حظنا من هذه الآية، وواجبنا الذي تُملِّيه
علينا، ثم نقوم بتطبيق ما فيها من أوامر، وننتهي عما نهت عنه من نواهٍ.

ونُعَمِّمُ هذا على أسرتنا.

(١) منشور في شبكة «الألوكة» الإلكترونية.

ومن المفيد جداً أن نُخصِّصَ دفترًا نكتب فيه الأوامر والنواهي،
والتوجيهات والتنبيهات، إنَّ لدينا أعظمَ كتاب، ولم أرَ تقصيراً في حقِّ
كتاب كما هو تقصيرنا في حقه، والله المستعان.

٤٤- النبي ﷺ يوافق ربه عز وجل ﷻ!

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت ببغداد سنة ٥٩٧) في
كتابه: «منهاج القاصدين ومفيد الصادقين» - وهو اختصار لإحياء علوم
الدين وتنقيح له وزيادة عليه، وطُبِعَ من قريب في دمشق - ذكر للصيام
تسع سنن، وقال:

«السادسة: الجودُ في رمضان، وفعل المعروف، وكثرة الصدقة؛
اقتداءً برسول الله ﷺ؛ فإن في الصحيحين من حديث ابن عباس قال:
«كان رسول الله ﷺ أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ ما
يكون في رمضان».

«ويظهر في هذا أنَّ الرسول ﷺ وافق ربه عز وجل في الكرم،
فإن آثاره تظهر في رمضان أكثر من غيره؛ لكثرة العتق، وعموم الغفران».

ولم أجد هذا المعنى في «الإحياء» في هذا الموضع؛ فهو من
إضافة الشيخ ابن الجوزي.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٦٥

٤٥- الوزير ابن هُبَيْرَةَ وليلة القدر!

قال الوزير العالم الصالح عون الدين يحيى بن هبيرة الدوري
البغدادي الحنبلي المتوفى سنة (٥٦٠ هـ):

«الصحيحُ عندي أن ليلة القدر تنقل في أفراد العشر؛ فإنه حدثني
مَنْ أَثِقُ به أنه رآها في ليلة سبع وعشرين، وحدثني أمير المؤمنين المقتفي
لأمر الله أنه رآها.

فأما أنا فكنت في ليلة إحدى وعشرين - وكانت ليلة جمعة -
وواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل، ولم أُنم تلك الليلة، فلما كان
وقت السحر - وأنا قائم على قدمي - رأيتُ في السماء باباً مفتوحاً مُرَبَّعاً
عن يمين القبلة - قدَّرتُ أنه على حجرة رسول الله ﷺ - فبقيَ على حاله
وأنا أنظر إليه نحو قراءة مئة آية، ولم يزل حتى التفتُّ عن يساري إلى
المشرق؛ لأنظر هل طلع الفجر؟

فرأيت أول الفجر، فالتفتُّ إلى ذلك الباب فرأيتُه قد ذهب، وكان
ذلك مما صدق عندي ما رأيت، فالظاهرُ من ذلك تنقلُها في ليالي الأفراد
في العشر، فإذا اتفقت ليالي الجمع في الأفراد فأجدر وأخلق بكونها
فيها»^(١).

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٦١).

٤٦- أفكار حول رمضان!

١ - الحياة عندما تكون كشريطٍ واحدٍ تُملُّ، ولذلك كان فيها المناسبات كالجمَع والأعياد وما إلى ذلك، كي تُقلِّص من شعور الناس بـ (الرتابة) المُملة، وتجعلهم يعيشون أيامًا تختلف عن أيامهم في سائر السنة، وتكون بمثابة الأمل، وقديمًا قيل: لولا الأمل لبطل العمل، وشهرُ رمضان له الأثر الكبير في هذا المجال في كثيرٍ من نواحي الحياة، وأنماط أحداثها، وبه يشعرُ الناسُ بتغييرٍ تامٍّ عمَّا تعودوه صباحَ مساءً، وبهذا تتجددُ الحياةُ وتبلور صورُها.

٢ - وشهر رمضان كثيرًا ما يُساعد على (عبادة) قد أعرض كثيرٌ من الناس عنها ولم يعودوا يُعيرونها أيَّ اهتمام، تلك هي عبادة التفكير في آلاء الله، وعظمته، وإبداع خلقه، والتفكير في المبدأ والمصير، ومساعدة شهر رمضان على هذه العبادة إنما هو من باب خلاء المعدة من كثرة الأطعمة والأشربة التي ترتخي معها الأعضاء، ويكسل الجسم، وتنشُل حركة العقل، فالبطنة تُذهب الفطنة، والامتلاء الدائم سببٌ كبير لإفساد الفكر، وإبعاده عن وظيفته ووجوده.

٣ - ومن أهم دروس رمضان ذلك الدرس الذي تفتقرُ إليه الأمةُ

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٦٧

بأجمعها: (الصبر)، فالمسلمُ عندما يُكابِدُ ألمَ الجوعِ والعطشِ، وَيَحْمِلُ
نفسَه على ما تكررُه، ينصاعُ له ما يعصيه من الصبر، إلى أن يصيرَ له سجية
وجبله، وإذا ما اعترضتهُ خطوبُ الحياةِ وأكدارُ الدنيا كان ذا سلاحٍ قويٍّ
أمينٍ يدافعُ به عن إيمانه ويقينه، وعزته وكرامته، هذا أولاً، وثانياً يُساعدُ
على حملِ أمانة التبليغِ واستعدادِ الأذى في سبيلِ الحقِ والسلام.

كلُّنا بحاجة إلى الصبر كي نستطيعَ مواكبة السيرِ وقلع الأشواك
من الطريق، ومرحباً برمضان عندما يُملي علينا هذا الدرسُ البليغُ.

٤ - وفي رمضان تتجلى وتترقُّقُ أسمى آياتِ الحبِّ للخالقِ
العظيمِ وأعظمها، فهذا هو المسلمُ وقد صام نهارَه وقام ليله لا يأبه
بالجوعِ والعطشِ ولا بالسهرِ والسمرِ، انصرف بكليته إلى ربه تائباً منيباً،
داعياً راجياً، ما له من همٍّ إلا القبولِ والتجاوزِ عمّا مضى، قد تُعرضُ
أمامه أشهى الأطعمة فيعرض عنها، ويلوح له أرقُّ الشرابِ فلا يلتفتُ
له، كلُّ رغبته أن يرضى الله عنه، ويقول له يومَ القيامة بعد كل هذا التعبِ
والنَّصبِ: لقد بلوتك يا عبدي ووجدتُك عند العهدِ، والآن: ﴿كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وهناك ما أشدَّ خيبة

من خسر الامتحان!

٥- وساعات رمضان كلها خير وبركة، وإنَّ من أجلها بهجة ونقاء وقرباً واتصالاً ساعة السحر، مُنى أنفُسِ العُباد والزهاد، وبُغية الطالبين والراغبين.

كثير أولئك الذين يَمُرُّ عليهم السَّحَرُ وهم في غفلة النوم غارقون، يأتيهم الخير إلى أبوابهم وهم عنه راغبون، ولكن رمضان شهر الرحمة والحنان يأبى إلا أن يجعل للجميع نصيباً من هذه الساعة المباركة العظيمة، فلا بُدَّ للصائم من سحور، ولا بُدَّ للسحور من استيقاظ، ولا يكادُ الإنسان يشمُّ عبيرَ السَّحَرِ حتى تنتعش نفسه، وتفتح ذابلاتُ وروده، فيلجأ إلى مُصلَّاه يناجي ربَّه، ويذرف أمامه دموع الخوف والرجاء، ويشكر شهرَ رمضان الذي كان السبب في تعريفه بهذه الساعة الغناء، حيث يفيض بحرُ الكرم، وتمتد يدُ المغفرة إلى كلِّ الغرقى والتائهين: «ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حين يَبقى ثُلثُ اللَّيْلِ الآخِرِ يقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيَه؟ مَنْ يستغفِرني فأغفر له؟» (١).

٦- أمّا ما يُسبغه شهرُ رمضان على النفس من صفات طيبة،

(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٦٩

ومشاعر نبيلة حية، فذلك ما ليس بالغامض ولا البعيد، فقد عَوَّدَ رمضانُ النفوسَ أن يُهدبها، ويرقى بها إلى قمم المساواة والعدالة، إذ تذوقُ معاناة الآخرين فلا يخفى عليها بعدُ ما تنطوي عليه صدورُ الفقراء والمحتاجين من ألمٍ حزينٍ راضٍ، وصمتٍ متدثرٍ شفافٍ، فتتقربُ إليها وتمسحُ عنها غبارَ الفقر والحاجة، وتقدمُ لها المعونة والبسمة، والشعورَ الإنساني الصادق، تتقربُ إليها لتقول بأننا جسدٌ واحدٌ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعتُ له سائرُ الأعضاء بالسَّهر والحمى.

٧- ورمضان بصيامه وقيامه وتسيحاته وقرانه قوةً إيمانية هائلة، تشدُّ عزيمة المسلم، وتثيرُ له الدرب طيلة أيام السنة، كلما سلطت الشمسُ أشعتها على نهره فأضرمته، وكلما حاول الألمُ واليأسُ أن يقتربا من شاطئه، قوةً تمنحُ القلبَ حلاوة اليقين، والعينَ قرّة السرور، وهو بهذا محطةً سنوية يقفُ المسلمُ بها ليملاً عقله وقلبه من معينها، محطةً سنوية تتخللها محطاتٌ أخرى لك الخيارُ أن تنهل منها أي وقتٍ شئت.

رمضان فرصة ذهبية، ونفحة إلهية، علينا جميعاً أن نتعرض لها، ونستسقي منها كؤوسَ المحبة والصفاء، ونزودَ لغدنا في الدنيا، وغدنا في الآخرة، وعسى الرحمة أن تطل علينا - بعد حبس الجوارح عن متطلباتها - وتهتف بنا في الدارين قائلةً: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٤٧- ليلة رمضان في حلب!

الشيخ أحمد الترماني الأزهري شيخ حلب في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، جمع بين علم حلب والقاهرة، وتمثل بأخلاق السلف، فكان سراج العلم والعمل والإرشاد في الخلف.

وُلد سنة ١٢٠٨ في قرية ترمانيين من قرى حلب، ودخل حلب وله ستُّ سنين، ورحل إلى الأزهر وعمره ٢٢ سنة، وأقام فيه ١٣ سنة، وحصل ما لم يُحصِّله غيره، وآلت إليه مشيخة حلب بعد وفاة أخيه مفتي الشافعية سنة ١٢٥٠ إلى وفاته سنة ١٢٩٣.

واليوم يُضربُ به المثل عند أهلها، فيقال لمن يدعي العلم: كأنه يرى نفسه الشيخ الترماني.

كانت حياته مقصورةً على التعليم، والتدريس: الخاص والعام، والإفتاء، والتوجيه، والنصح والإرشاد.

وما كان يَغشى أحدًا من رجال الدولة العثمانية، ولا يُلبي دعوة أحد من الكبراء، إلا دعوة واحدة ألحَّ بها والي حلب جودت باشا على الإفطار عنده في رمضان، ولا بدَّ أن الوالي استعدَّ لقدوم الشيخ استعدادًا كبيرًا، وأن القصر ومن فيه اهتزَّ لمقدمه، ولا ندري هل جاء راكبًا فخالفَ عادته أيضًا، أم ظلَّ على منهجه من عدم الركوب والتنقل ماشيًا؟

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٧١

ولما حضر وحن موعد الإفطار وُضِعَت (الشوربا) أولاً على العادة المتبعة، فتناول منها لُقَيْمات، ثم قاموا إلى صلاة المغرب، وبعد أن فرغوا منها دُعِيَ الشيخ إلى المائدة ثانياً - ولا بد أنها كانت مائدة عامرة فاخرة، زاخرة بروائع المطبخ الحلبي، وأطاييه وعجائبه - فقال الشيخ: أما تعشينا؟ فقالوا له: تلك مقدمة الإفطار.

فقال: لا، قد اكتفينا.

ولم يأكل سوى ذلك، ولا يملك أحدٌ مراجعة الشيخ، وربما كان الشيخ قليل الأكل حقاً، وربما أراد التورُّع عن طعام لا يتيقنُ حِلَّهُ، فاكتفى بلقيمات لا تُقيم صلباً، ولا تُثبت جسمًا، ولا تغذي لحمًا.

وقد سكت الرواة عن تفصيل الخبر؛ أجلس الشيخ أم غادر؟ وهل تعشى الآخرون، أم اضطروا لموافقته؟ وهل صلى التراويح في القصر، أم عاد إلى بيته الذي تعود أن يدخله بعد فراغه من دروسه عصرًا فلا يخرج منه إلى الصباح؟

قال الكاتبون عن سيرته:

«ولم نسمع أنه أجاب دعوة أحد من الكبراء غير هذه، ولعله أجاب دعوة الوالي جودت باشا؛ لأنه كان من العلماء».

وقد كانت إجابته بعد جهدٍ جهيد، وكان أكله كما رأيت، رحم الله
الشيخ الزاهد العابد الورع الصالح المفنن أحمد الترماني؛ لقد كان
صورةً جميلةً من عصر مضى!

٤٨- رمضان مدرسة الحياة!

(رمضان) جاء ولم أزل بمآسي
مالي أصوم عن الطعام المشتهى
ويطوفُ غيري في حدائق طاعةٍ
ويقومُ أهلُ الليل في خلواتهم
أمضي النهارَ تأففاً وتضجراً
مالي أرى دفعَ الخواطرِ آسناً
أيجيء يومَ البعثِ قومٌ بالغنى
هل يرفعون رؤوسهم من فخرهم
كانوا إذا رمضان حلّ بدارهم
إن كان يجرسُ غيرهم مالا فما
صاموا وقاموا واستقاموا واغتنوا
بُعدُ المشارِقِ والمغربِ بُعدهم
والقلبُ من ذنبي اللجوج يُقاسي
وأطيلُ أكلاً من لحوم الناسِ؟!
وأطوفُ بالوسواسِ والخناسِ!
وأنامُ عن ذكرٍ وعن إيناسِ!
وأضيّعُ النفحاتِ في الأغلاسِ!
وأرى التبدلَ ساكناً إحسائي
من سعيهم، وأجيءُ بالإفلاسِ؟
وأحطُّ من خجلٍ هنالك راسي؟
ضنوا - على التفريط - بالأنفاسِ
كانوا لغير العُمَرِ بالحرّاسِ
وغدوا من التقوى بخير لباسِ
عن ربةِ الأدناسِ والأرجاسِ

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٧٣

بَلَّغْتَهُمُ الْأَنْبَاءَ عَنْ قِيَعَانِهِمْ
وَإِذَا مَضَى ذَنْبٌ فَمَا يَنْسُونَهُ
يَتَخِيلُونَ وَقُوفَهُمْ وَحَسَابَهُمْ
فَإِذَا بِهِمْ مِنْ رِقَّةٍ عَبَّرَاتُهُمْ
أَوْقَاتُهُمْ أَبَدًا بَطَاعَةَ رَبِّهِمْ
جَالِسُهُمْ وَانظُرْ فَوَادِكُ عِنْدَهُمْ
شَهْدٌ وَسُمْ فِي كُؤُوسِ النَّاسِ إِنْ
أَتَرَى سَتَحَسُو الشَّهْدَ مِنْ أَحْيَارِهِمْ
وَلِكُلِّ صَحْبٍ فِي الْحَيَاةِ لِبَأْسِهِمْ
سَتَعُودُ صَحْبُهُمْ عَلَيْكَ بِحَالِهِمْ
هَلْ تَشْتَرِي مَدْرًا بِدُرٍّ خَالِصٍ
فَاسْتِيقِظِي يَا نَفْسُ وَاقْتَرِبِي مِنْ آلِ
وَخِذِي مِنْ (الشَّهْرِ الْفَضِيلِ) وَسِيلَةً
رَمَضَانَ مَدْرَسَةَ الْحَيَاةِ فَأَقْبِلِي
أَيَّامَهُ مَعْدُودَةً فَتَزُودِي
وَتَدَارِسِي (الْقُرْآنَ) فِي سَاعَاتِهِ
كُونِي مَعَ الْأَكْيَاسِ فِي نَهَضَاتِهِمْ
فَتَسَابِقُوا طَمَعًا لَهَا بِغَرَّاسٍ
مِنْ خَوْفِهِمْ وَأَنَا الْجَهْوَلُ النَّاسِي
وَجَمِيعُ مَا عَمَلُوهُ فِي الْقُرْطَاسِ
تَهْمِي، وَلَا يَبْكِي الْغَفُولُ الْقَاسِي
أَصْبَاحُهُمْ مَعْمُورَةٌ وَأَمَّاسِي
فَالْمَرْءُ مَقْتَبَسٌ مِنَ الْجَلَّاسِ
خَالَطْتَهُمْ فَانظُرْ مَدِيرَ الْكَاسِ
أَمْ أَنْتَ مِنْ سُمَّ الْمَفَاسِدِ حَاسِي؟
أَتَرَكَ قَدْ فَكَّرْتَ فِي الْإِلْبَاسِ؟
فَانظُرْ وَقَاسِيَهُمْ - إِذْنَ - بِقِيَاسِ
أَوْ تَشْتَرِي مِنْ فَحْمِهِمْ بِالْمَاسِ؟
أَبْرَارٍ وَابْتَدِرِي بِنَاءَ أُسَاسِ
لِلَّهِ وَاقْتَبِسِي مِنَ الْمَقْبَاسِ
وَاسْتَلْهَمِي مِنْهُ الدَّوَاءَ الْآسِي
لَا تَضْرِبِي الْأَخْمَاسَ لِلْأَسْدَاسِ
مَا اشْتَقْتِ يَا نَفْسِي إِلَى الْمِدْرَاسِ؟
فَالدِّينَ وَالدُّنْيَا مَعَ الْأَكْيَاسِ

يا نفسُ هل من ساعةٍ تَقفينها (هل في وقوفك ساعةً من باسٍ)؟
ما قلتُ ما أنا قلتُه متسلِّياً لا تُقرَعُ الأجراسُ للأجراسِ
فثِبي وثوبي من شرودكِ وانتهي لا تيأسي فالكفرُ صنو الياسِ
وتذكري يا نفسُ أولَ ليلةٍ سَتَرينها - لا بدّ - في الأرماسِ
والقبرُ إماروضةٌ أو حفرةٌ والسعيُّ عندَ الله في قسطاسٍ^(١)



(١) هذه القصيدة لأخي الدكتور عبد الحكيم الأنيس.

٤٩- قادة الأمة في رمضان^(١)!

الاهتمام بقيام رمضان:

أخرج البيهقي وغيره من طريق هشام بن عروة، عن أبيه «أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على قيام شهر رمضان الرجال على أبي بن كعب، والنساء على سليمان بن أبي حثمة»^(٢).

وقد استمر جمع الناس على صلاة التراويح إلى يوم الناس هذا، وفي الاجتماع بركة ونشاط لمن خاف على نفسه الكسل أو الملل.

وجاء عن علي رضي الله عنه مثل هذا:

قال التابعي عرفجة بن عبد الله الثقفي الكوفي: كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام رمضان، يجعل للرجال إماماً، وللنساء إماماً. قال عرفجة: فأمرني علي فكنت إمام النساء^(٣).

(١) هذه الفقرة مقتبسة من كتاب: «قادة الأمة في رمضان» للدكتور عبد الحكيم الأنيس.

(٢) السنن الكبرى (٢/٦٩٥) (٤٢٧٦)، والمصابيح في صلاة التراويح للسيوطي، ضمن الحاوي (١/٤١٦).

(٣) الثقات لابن حبان (٥/٢٧٣، ٢٧٤) برقم (٤٨٠٦)، والسنن الكبرى للبيهقي =

وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة نحو ذلك، وزاد: فلما كان عثمان بن عفان جمع الرجال والنساء على إمام واحد: سليمان بن أبي حثمة^(١).

ومن ذلك ما قاله المؤرخ عبد الحي الحسني في ترجمة سلطان الهند عالم كير - بالكاف الفارسية - (ت: ١١١٨ هـ): «كان يصوم في رمضان في شدة الحر، ويحيي الليالي بالتراويح، ويعتكف في العشرة الأخيرة من رمضان في المسجد»^(٢). بل ذكر المحبي أنه كان يصلي بالناس التراويح^(٣).

الاهتمام بتفقيه الناس:

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الصحابي الجليل ترجمان القرآن الكريم الحبر الفقيه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أخرج الزبير بسند له «أن ابن عباس كان يغشى الناس في رمضان - وهو أمير البصرة -، فما ينقضي الشهر حتى يفقههم»^(٤).

= (٢/٦٩٥) (٤٢٧٧)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥/١٢٧، ١٢٨)،

وهو يروي عن البيهقي.

(١) المصابيح، ضمن الحاوي (١/٤١٦).

(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٦/٤٣٨).

(٣) خلاصة الأثر (٤/٣١٦).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٢٩) برقم (٤٧٩٩).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٧٧

الاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً:

وللأمة في ذلك أحوال وأفعال، ويهمني هنا أن أذكر صورة من صور علاقة قادة الأمة بالقرآن في رمضان، فمن ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة الخليفة العباسي السابع عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد، فقد روى عن ذي الرياستين أنه قال في شوال سنة ٢٠٢ هـ: «إن المأمون ختم في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة، أما سمعتم في صوته بحوحة؟ إن محمد بن أبي محمد اليزيدي في أذنه صمم، فكان المأمون يرفع صوته لسمع، وكان يأخذ عليه^(١). أي: يسمع له.

وإذا كان رمضان ثلاثين يوماً فهذا يعني أنه كان يقرأ كل يوم ختمة، وتبقى ثلاث ختمات، لعلها كانت في الصلاة، أو في العشر الأواخر.

التقشف في رمضان:

ومن ذلك ما جاء عن سلطان الهند الكبير عالم كير بن شاه جهان (ت: ١١١٨ هـ). قال المحببي في ترجمته: «بلغ من الزهد مبلغاً أناف فيه على ابن أدهم، فإنه مع سعة سلطانه يأكل في شهر رمضان رغيفاً من خبز الشعير من كسب يمينه»^(٢).

(١) تاريخ بغداد (١١/٤٣٠).

(٢) خلاصة الأثر (٤/٣١٦).

٥٠- القادة والمجالس العلمية!

ومن الأمثلة على ذلك: قراءة صحيح البخاري:

«كانت قراءة صحيح البخاري بقلعة الجبل من أهم المظاهر الرسمية لإحياء شهر رمضان في عصر سلاطين المماليك، وذكر المقرئ في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، وأبو المحاسن ابن تغري بردي في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة أنه جرت العادة أيام السلطان شعبان أن يُبتدأ بقراءة صحيح البخاري في أول يوم من شهر رمضان بين يدي السلطان، ويحضره طائفة من القضاة والفقهاء، وظل الأمر على نفس المنوال حتى تولى منصب السلطنة المؤيد شيخ محمودي سنة (٨١٥هـ - ١٤١٢م) فجعل السلطان المؤيد قراءة البخاري بالقلعة تبدأ من أول شعبان، وتستمر حتى السابع والعشرين من رمضان، وأضاف المقرئ أن السلطان المؤيد زاد على ذلك بأن دعا لحضور ذلك المجلس جمعاً كبيراً من مشايخ العلم والطلبة، حتى زاد عددهم على ستين فقيهاً، ومنح كل واحد منهم ألف درهم فلوساً.

فإذا تم ختم صحيح البخاري - وذلك في الثلث الأخير من شهر رمضان - احتفل السلطان بذلك احتفالاً كبيراً في القلعة، فترسل الخلع

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٧٩

إلى القضاة والعلماء والفقهاء، وتوزع الأموال على الناس، وفي نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخاري في سرادق كبير في الحوش السلطاني بالقلعة»^(١).

ومن الأمثلة على ذلك: قراءة التفسير:

كان السلاطين من بني عثمان يقيمون دروساً لتفسير القرآن الكريم، وقد استمرت هذه العادة أكثر من مئة وخمسين سنة. يقول الأديب إبراهيم المويلحي في كتابه «ما هنالك من أسرار بلاط السلطان عبد الحميد»: «من أجل شعائر الخلافة، وأفضل عوائد السلطنة، قراءة التفسير الشريف في شهر رمضان المعظم في السراي السلطانية بحضور جلالة السلطان.

وهذه عادة ابتدأ أسلاف جلالته بها منذ مئة وخمسين سنة، فبلغ الدرس الآن من التفسير إلى آخر سورة الأنفال. وعدد الدروس عشرة، تُقرأ في أثناء الشهر المبارك من كل سنة.

فتنخب السراي عشرة من العلماء، من المنسوبين إليها،

(١) رمضان في التراث المصري: عصر سلاطين المماليك (مقال) للدكتور حسنين

محمد ربيع، في مجلة تراثيات، العدد ٨ (ص: ٢٦، ٢٧).

والمعروفين لديها بالأوصاف اللائقة لحضور هذا المحفل الجليل،
وتنتخب لكل واحد منهم عشرة من طلبة العلم الموصوفين بمحاسن
الآداب، يحضرون يوم حضور مدرّسهم لقراءة درسه، فيسألونه بعض
الأسئلة في الذي يقرؤه من التفسير، وهو يجاوبهم.

وتعين أيام الدروس في أثناء الشهر موقوف على صدور الإرادة
السنية به، فيحضر المدرّس صاحب اليوم بأصحابه العشرة من طلبة العلم
بعد صلاة الظهر، فيدخلون إلى المكان المخصوص لقراءة الدرس،
ويدخل المشايخ ورجال المايين الذين يختارهم جلالته لشرف الحضور
لهذا الدرس على شكل هلال، ونجم ذلك الهلال كرسى جلالته السلطان
الذي يجلس عليه.

ويبتدىء المدرّس في القراءة والطلبة في الأسئلة المعلومة حتى
ينتهي الدرس قبيل صلاة العصر، وجملة السلطان جالس يسمع تارة،
ويقرأ تارة من الأوراق ما لا يحتمل تأخيراً، ولا يجوز الاعتناء بها إرجاءً.

لا زالت هذه العادة الشريفة جارية في هذا البيت الرفيع القدر، ما

هَلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَلَالُ الشَّهْرِ»^(١).

(١) ما هنالك (ص: ٢١٨، ٢١٩).

ثانياً: قصص من أحوال السلف وأقوالهم عن الصيام _____ ١٨١

٥١- القادة والصدقات!

وعلى سبيل المثال فقد «اهتم سلاطين المماليك بالتوسع في الإحسان والصدقة طيلة رمضان، فالسلطان برقوق كما ذكر المؤرخ أبو المحاسن ابن تغري بردي في كتابه «مورد اللطافة» اعتاد أن يذبح طوال سلطنته في كل يوم من أيام رمضان خمساً وعشرين بقرة، يتصدق بلحومها - مع ما يطبخ من الطعام، وما يخبز من آلاف الأرغفة - على أهل الجوامع والخوانق والربط والسجون، بحيث يخص كل فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة.

وحاكي السلطان برقوق في ذلك من أتى بعده من السلاطين، فأكثروا من ذبح الأبقار وتفريق لحومها. أما المساكين والمعدمون فرتب لهم سلاطين المماليك في شهر رمضان مطابخ لإفطار الصائمين وتوزيع الصدقات عليهم، وقد بلغ عدد المترددين على هذه المطابخ أيام السلطان بيبرس البندقداري خمسة آلاف نفس في كل يوم من أيام شهر رمضان كما أشار المقرئ في كتاب «السلوك».

كذلك اعتاد سلاطين المماليك - كما ذكر المقرئ أيضاً - أن يعتق الواحد منهم في شهر رمضان ثلاثين نسمة، أي بعدد أيام الشهر.

ومما جاء عنهم في ذلك أنه «في مستهل الشهر يجلس السلطان في الميدان تحت القلعة، ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة، ثم يستعرض أحمال الدقيق والخبز والسكر والغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان، يعرضها عليه المحتسب بعد أن يكون قد استعرضها في أنحاء القاهرة، وينعم السلطان على المحتسب وعلى كبار رجال الدولة»^(١).

ومن أخبار الصدقات ما جاء عن السلطان ابن السلطان: عالم كبير ابن شاه جهان سلطان الهند (ت: ١١١٨ هـ). قال الحسني في ترجمته: «أما الصدقات التي كان يتصدق بها في الأيام والمواسم فكان والده شاه جهان ومن قبله من الملوك التيمورية يتصدقون باثني عشر ألف في المحرم، واثنى عشر ألف في ربيع الأول، وعشرة آلاف في رجب، وخمسة عشر ألفاً في شعبان، وعشرين ألفاً في رمضان، فكانوا يتصدقون بتسع وسبعين ألفاً في كل سنة»^(٢).



(١) رمضان في التراث المصري: عصر سلاطين المماليك (مقال) للدكتور حسنين

محمد ربيع، في مجلة تراثيات، العدد ٨ (ص: ٢٤).

(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٦/٧٤١).

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (ت: ٦٤٣هـ) تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) دار المنهاج - جدة، ط ١، ٢٠١١م.
- ٤- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، للحسين بن علي الصِّمري (ت: ٤٣٦هـ) دار عالم الكتب - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥- اختلاف الأئمة العلماء، لابن هُبَيْرَة (ت: ٥٦٠هـ) تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٦- الإجماع، لابن المنذر (ت: ٣١٩هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٧- آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر، ط ٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨- آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩ - الأذكار، ليحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ) المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.

١١ - الاستذكار، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢ - الاعتصام، للشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: ٧٩٠هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣ - الإفصاح عن معاني الصحاح، ليحيى بن هُبيرة (ت: ٥٦٠هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

١٤ - إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة، لمحمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ت: ١٣٠٤هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

١٥ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٦ - البداية والنهاية، لإسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧ - بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.

١٨ - بستان الواعظين ورياض السامعين، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٩ - تاريخ أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠ - تاريخ الإسلام، لمحمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م.

٢١ - تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٢٢ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٣ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم المنذري (ت: ٦٥٦هـ) دار ابن حزم - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.

٢٤ - التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، لابن كثير، تحقيق: شادي محمد سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة - اليمن، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٨٦ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحيين

٢٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافي الكبير، لابن حجر العسقلاني

(ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة - مصر، ط ١،

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)

تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير، وزارة عموم الأوقاف

والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للزمري (ت: ٧٤٢هـ) تحقيق: بشار عواد

معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٧م.

٢٨- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) بعناية

محمد زهير الناصر، طبعة دار طوق النجاة - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار

الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٠- الجامع للترمذي (ت: ٢٧٤هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، إبراهيم عطوة

عوض، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٠م، وطبعة دار الرسالة العالمية،

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤٣٠هـ.

٣١- الحقائق الطبية في الإسلام، لعبد الرزاق الكيلاني، دار القلم - دمشق، ط ١،

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة -

القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٣- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، ليحيى بن شرف النوي (ت: ٦٧٦هـ) تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة -

بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (ت: ٧٩٩هـ) تحقيق: محمد الأحمد، دار التراث - القاهرة.

٣٥- ذم الهوى، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق:

مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الإسلامية، مصر، ط ١، ١٩٦٢م.

٣٦- ذيل طبقات الحنابلة، لعبد لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) تحقيق:

عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١٤،

١٤٠٧هـ.

٣٨- الزهد، لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١،

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٩- السنة، لابن أبي عاصم الضحاك (ت: ٢٨٧هـ) تحقيق: محمد ناصر

الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤٠- السنن، لابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب

الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٠هـ.

١٨٨ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

٤١ - السنن، لأبي داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار
الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٢ - السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) دار الفكر -
بيروت، ١٩٩٠م.

٤٣ - السنن، للنسائي (ت: ٣٠٣هـ) مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: ٢،
١٤٠٦هـ.

٤٤ - السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية -
بيروت، ط: ١، ١٩٩١م.

٤٥ - سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه،
مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

٤٦ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ) تحقيق:
طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٤٧ - شرح السنة، للبخاري (ت: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير
الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق/ بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٨ - شرح الصدر بذكر ليلة القدر، لولي الدين العراقي (ت: ٨٢٦هـ) ويليهِ: إشراق
المصابيح في صلاة التراويح، لتقي الدين علي السبكي (ت: ٧٥٦هـ)

تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة/ مكتبة الساعي -
الرياض.

٤٩ - شرح صحيح البخاري، لابن بطال (ت: ٤٤٩هـ) تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٣هـ -

٢٠٠٣م.

٥٠ - شرح معاني الآثار، للطحاوي (ت: ٣٢١هـ) تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥١ - شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.

٥٢ - صحيح ابن خزيمة (ت: ٣١١هـ) تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ٢٠٠٣م.

٥٣ - صفة الصفوة، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: أحمد علي، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٤ - الطب النبوي والعلم الحديث، لمحمود ناظم النسيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٥ - طبقات الحنابلة، لمحمد بن محمد ابن أبي يعلى (ت: ٥٢٦هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٥٦ - طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.

١٩٠ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

٥٧ - طبقات الشافعيين، لابن كثير، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم
عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٨ - الطبقات الكبرى لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) إحياء التراث العربي - بيروت،
ط: ١، ١٩٩١م.

٥٩ - طرح التثريب في شرح التقريب، لعبد الرحيم العراقي (ت: ٨٠٦هـ) أكمله
ابنه ولي الدين، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة.

٦٠ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للعيني (ت: ٨٥٥هـ) طبعة دار
الفكر العربي - بيروت.

٦١ - الغذاء في القرآن الكريم من منظور علم التغذية الحديث، لمعز الإسلام
فارس، نشر جامعة حائل - المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠١٥م.

٦٢ - فتح الباري بشرح البخاري، لابن حجر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي،
إخراج محب الدين الخطيب، مصورة دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.

٦٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)
تحقيق: محمود بن شعبان وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة،
ط ١، ١٤١٧هـ.

٦٤ - فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين، لأحمد بن عبد العزيز المليباري
(ت: ٩٨٧هـ) دار ابن حزم، ط ١.

٦٥ - فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: إحسان
عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.

٦٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)
طبعة المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ.

٦٧- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي
(ت: ٧٩٥هـ) دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٦٨- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، لعبد المؤمن الدميّطي (ت: ٧٠٥هـ)
تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة - مكة، ١٤١٤هـ.

٦٩- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لشيخ زاده، يعرف بدامادا أفندي
(ت: ١٠٧٨هـ)، دار إحياء التراث العربي.

٧٠- مجمع الزوائد، لنور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٤هـ) دار الريان للتراث -
القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٧١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع
الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ -
١٩٩٥م.

٧٢- المجموع شرح المهذب، ليحيى بن شرف النووي، مع تكملة السبكي
والمطيعي - دار الفكر.

٧٣- مختصر خليل بن إسحاق بن موسى (ت: ٧٧٦هـ) تحقيق: أحمد جاد، دار
الحديث - القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩٢ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

٧٤- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لمحمد بن نصر المروزي
(ت: ٢٩٤هـ) اختصرها: أحمد بن علي المقرئزي، فيصل آباد - باكستان،
ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٥- مراتب الإجماع، لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٦- مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة، حسين المحلي (ت: ١١٧٠هـ) تحقيق:
عبد الكريم بن صنيان العمري.

٧٧- المدهش، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق:
مروان قباني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٨- المسند الصحيح، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) محمد
نزار تميم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم - بيروت، ١٩٩٩م.

٧٩- المسالك في شرح موطأ مالك، لأبي بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) تحقيق:
محمد السليمان، وعائشة السليمان، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١،
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨٠- مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود (ت: ٢٧٥هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله،
مكتبة ابن تيمية - مصر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨١- المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری (ت: ٤٠٥هـ) طبعة دار
الكتب العلمية - بيروت.

٨٢- مسند البزار (ت: ٢٩٢هـ) المسمى البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن
زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: ١، ١٩٩٧م.

٨٣ - المسند، لأحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.

٨٤ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية - بيروت.

٨٥ - المصنف، لابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٨٦ - المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٨٧ - معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي (ت: ٣٨٨هـ) المطبعة العلمية - حلب، ط ١، ١٣٥١هـ.

٨٨ - المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: أيمن صالح، أحمد إسماعيل، دار الحديث - القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م.

٨٩ - المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء - الموصل، ط ٢، ١٩٩٠م.

٩٠ - المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت: ٢٧٧هـ) تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩١ - المغني، لابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتاب - الرياض، ط ٣، ١٤١٧هـ -

١٩٤ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

٩٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ليحيى النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار
ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

٩٣ - موطأ الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
دار إحياء التراث العربي - مصر.

وطبعة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، أبو ظبي - دولة
الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٥هـ.

٩٤ - نداء الريان في فضل الصوم وفضل رمضان، لسيد بن حسين العفاني، دار
ماجد عسيري - جدة.

٩٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) دار ابن الجوزي،
السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ.

٩٦ - الوافي بالوفيات، لخليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)
تحقيق: أحمد الأرنبوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت،
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩٧ - وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) دار الكتب العلمية،
ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	الافتتاحية
٩	المقدمة
١٣	أولاً: خواطر حول الصيام
١٥	ما أجمل هلال رمضان!
١٦	المؤمن يراقب حركة القمر حباً في الصيام!
١٦	التبشير برمضان، والتهنئة بقدمه!
١٧	رمضان سيد الشهور!
١٨	رمضان موسم من أعظم مواسم الإسلام وعرس من أعراسه المباركة! ..
١٨	لحظات الصلة بالله متشابهة!
١٩	الصيام تكريم إلهي!
١٩	متى يأتي رمضان؟
٢٠	أول ليلة، وآخر ليلة!
٢١	أيام معدودات!

الموضوع	الصفحة
ما أجمل الصيام عندما يكون بدافع الحب والرضا!	٢٢
لعلكم تتقون!	٢٥
الصيام نظام غذائي يتوافق مع الفطرة!	٣١
الصيام والصحة!	٣٢
الصيام: تهذيب لا تعذيب!	٣٤
رمضان كالوطن الجميل!	٣٤
الصيام ومحاكاة شعور المحرومين!	٣٥
الصيام تدريب على تحمل متاعب الحياة!	٣٥
الصيام والارتقاء!	٣٦
الصيام والإخبات لله تعالى!	٣٦
رمضان عودة إلى فطرة الحياة!	٣٧
الصوم تذكير بمائدة الكون العظيمة!	٣٨
أسباب الصيام:	٣٩
إحياء الحب المفقود!	٤٠
بين الصيام والقرآن علاقة وثيقة!	٤٠
الصوم حسنة عظيمة	٤١

- ٤٢ رمضان والقرآن!
- ٤٧ رمضان والقيام!
- ٥٠ قيام رمضان في عصر الصحابة رضي الله عنهم
- ٥٢ كم آية كان يقرأ في الركعة الواحدة؟
- ٥٥ متى يبدأ القيام؟ ومتى ينتهي؟
- ٥٦ هل كانوا يصلون القيام في أول الليل ثم يعودون؟
- ٥٧ أهل المدينة وقيام رمضان!
- ٥٨ رمضان والدعاء!
- ٦٠ العبادات وأثرها في هندسة الحياة!
- ٦١ رمضان والعمرة
- ٦٢ عشر دقائق في رحاب البيت العتيق!
- ٦٦ رمضان والنخلة!
- ٦٨ مكة المكرمة والقرآن!
- ٦٩ إلا ليل المسجد الحرام!
- ٧٠ ما يجري في الحرمين آية من آيات الله في هذا العصر!
- ٧٠ رأيت في رحاب البيت العتيق!

الموضوع	الصفحة
رمضان موسم الجود والعطاء!	٧٣
تأثير كلمات النبوة في العالم من خلال رمضان والعيد	٧٣
رمضان موسم من مواسم العلم	٧٤
من مظاهر التهيؤ والاستعداد لشهر رمضان المبارك!	٧٦
الصيام: نظام غذائي متميز!	٨٠
رمضان وفصول الطبيعة!	٨٤
الصيام أفضل علاج للنفس الأمارة!	٨٥
تصفد الشياطين في شهر رمضان!	٨٧
همم عالية!	٨٩
مهلاً رمضان!	٩٠
يا راحلاً!	٩٣
أيها الضيف تمهل..!	٩٤
ليلة القدر بين التحري والاجتهاد!	٩٥
ليلة القدر، هل هي ثابتة أم تنتقل؟	٩٩
من صور الاجتهاد في ليلة القدر عند السلف:	١٠٣
أشعار في رمضان!	١٠٤

- ١٠٨ أشعار جميلة في العيد!
- ١١١ ثانياً: قصص من أحوال السلف، وأقوالهم عن الصيام
- ١١٣ هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية!
- ١١٣ من مظاهر حب الصحابة رضي الله عنهم للصيام:
- ١١٨ من مظاهر حب السلف للصيام: سر دهم له
- ١٢٧ مشروعية كثرة العبادة
- ١٣١ من مظاهر حب السلف للصوم: صيام يوم، وإفطار يوم
- ١٣٤ الصيام ملاذ العابدين!
- ١٣٤ أفضل الصيام!
- ١٣٤ لو جرعت جرعة ماء!
- ١٣٥ حوض عتبة!
- ١٣٥ كأنه طاعم ناعم!
- ١٣٦ اللهم سلمني لرمضان!
- ١٣٧ وإما صيام رمضان!
- ١٣٧ ما أجمله من دواء لقسوة القلب!!
- ١٣٨ شهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته!

الموضوع	الصفحة
أفادع أيامي تذهب باطلاً؟	١٣٩
أكره أن أخلف الله ما وعدته!	١٣٩
ومن لي بغدٍ؟!	١٤٠
فكان يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر!	١٤٠
من خصال الإيمان: الصوم في الحر!	١٤١
يصوم هو وابنه وامرأته نحو أربعين سنة!	١٤٢
أمير المؤمنين يفطر على خبز نقي وملح وخل وزيت!	١٤٢
الوليد بن عبد الملك يختم في رمضان سبع عشرة مرة!	١٤٣
الإفطار رحمكم الله!	١٤٣
فإذا كان ليلة الفطر كسأهم ثوباً ثوباً.	١٤٤
توارث الصيام في الأسرة!	١٤٤
لأصومنَّ له أيام حياتي!	١٤٥
إني ربما كنت صائمة فأرخي يدي فيه!	١٤٥
فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والذنوب!	١٤٦
لا يُرى في بيته الدخان نهراً إلا إذا نزل بهم ضيف!	١٤٦
ما أسى على شيء من الدنيا إلا على ظمأ هواجر!	١٤٧

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ١٤٨

إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة! ١٤٨

إن الخيل لا تجري الغايات وهي بُدنى! ١٤٩

يا بني قتلت قتيلاً؟! ١٥٠

صام أربعين سنة لا يعلم به أهله! ١٥٠

راجع حفصة فإنها صوامة! ١٥١

إن الله تعالى لم يأمرك بهذا كله! ١٥٢

يصوم كثيراً ويمنع نفسه من الشهوات ١٥٢

أصبح دهري صائماً ١٥٣

أهم أحكام الصيام الفقهية ١٥٣

من حصاد رمضان، خاطرة رمضانية ١٦١

من مكتبة رمضان ١٦٢

ختمة العمل ١٦٣

النبي ﷺ يوافق ربه عز وجل ﷻ ١٦٤

الوزير ابن هُبَيْرَةَ وليلة القدر ١٦٥

٢٠٢ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحبين

الموضوع الصفحة

- أفكار حول رمضان ١٦٦
- ليلة رمضانية في حلب ١٧٠
- رمضان مدرسة الحياة ١٧٢
- قادة الأمة في رمضان ١٧٥
- الاهتمام بقيام رمضان ١٧٥
- الاهتمام بتفقيه الناس ١٧٦
- الاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً ١٧٧
- التقشف في رمضان ١٧٧
- القادة والمجالس العلمية ١٧٨
- القادة والصدقات ١٨١
- قائمة المصادر والمراجع ١٨٣
- فهرس المحتويات ١٩٥



السيرة العلمية للدكتور عبد السميع الأنيس _____ ٢٠٣

السيرة العلمية للدكتور عبد السميع محمد الأنيس

dranis@sharjh.ac.ae

١ - الخبرة الأكاديمية والإدارية:

يعمل في كلية الشريعة - جامعة الشارقة برتبة أستاذ مشارك (٢٠٠٥-٢٠١٦م) وما زال مستمراً في عمله.

وعمل في كلية الشريعة والقانون - مسقط (٢٠٠٠-٢٠٠٥م). وكان رئيساً للقسم لفصل واحد.

وجامعة آل البيت - المملكة الأردنية (١٩٩٦-٢٠٠٠م).

٢ - المؤهلات العلمية:

حصل على شهادة الدكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه من كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد - ١٩٩٥م، وعنوان الرسالة: الفصل للوصول المدرج في النقل للخطيب البغدادي: دراسة وتحقيق.

٢٠٤ _____ الصيام رحلة العابدين وراحة المحيين

تلقى العلم عن مئة شيخ تقريباً، وحصل على إجازة خمسين منهم،
ومن أبرزهم:

الشيخ عبد الكريم الدبان (ت ١٤١٣هـ)، والشيخ عبد الكريم
المدرس (ت ١٤٢٦هـ)، وهما عمدتي في الدراية والرواية، والشيخ
محمد ياسين الفاداني المكي (ت ١٤١٠هـ)، والشيخ عبد الفتاح
أبو غدة (ت ١٤١٧هـ)، والشيخ أبو الحسن الندوي (ت ١٤٢٠هـ)،
والشيخ محمد عبد الرشيد النعماني (ت ١٤٢٠هـ). تغمدهم الله بسابغ
رحمته.

٣- الأعمال العلمية:

١- الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، «بحوث
تحليلية للحياة الزوجية في بيت النبوة»، طبع في دار ابن الجوزي،
السعودية ١٤٢٦، وفي وزارة الأوقاف - قطر ٢٠٠٨م.

٢- بحوث في السُّنَّةِ المطهرة (دراسة تحليلية لمفاهيم خاطئة)،
دار عمار - الأردن ٢٠٠٣م.

٣- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر، تحقيق، دار
عمار - الأردن، ١٩٩٩م.

السيرة العلمية للدكتور عبد السميع الأنيس _____ ٢٠٥

٤- الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب البغدادي دراسة وتحقيق، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية ١٩٩٧ م.

٥- دعاء النبي ﷺ وأذكاره في الصباح والمساء، طبع في دار البيان، دبي - الإمارات ٢٠٠٦ م.

٦- خواطر ومشاهدات في رحلة الحج والعمرة، طبع دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤-٢٠١٣ م.

٧- جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة، طبع في جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤-٢٠١٣ م.

٨- الصلاة رحلة الحب والشوق، طبع دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥-٢٠١٤ م.

